جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص : لسانيات عربية

إعداد الطالب (ة):
بقور نسرين/ قادري نميرة

يوم: سبتمبر 2020

التهكم في ديوان البدوي الأحمر لمحمد الماغوط

–مقاربة تداولية لنماذج مختارة–

لجنة المناقشة:

ليلى كادة	أ. د.	جامعة بسكرة	مشرفًا ومقررًا
باديس لهويمل	أ.م.أ	جامعة بسكرة	رئيسًا
سميحة كلفالي	أ. م. ب	جامعة بسكرة	مناقشًا

السنة الجامعية : 2019 – 2020

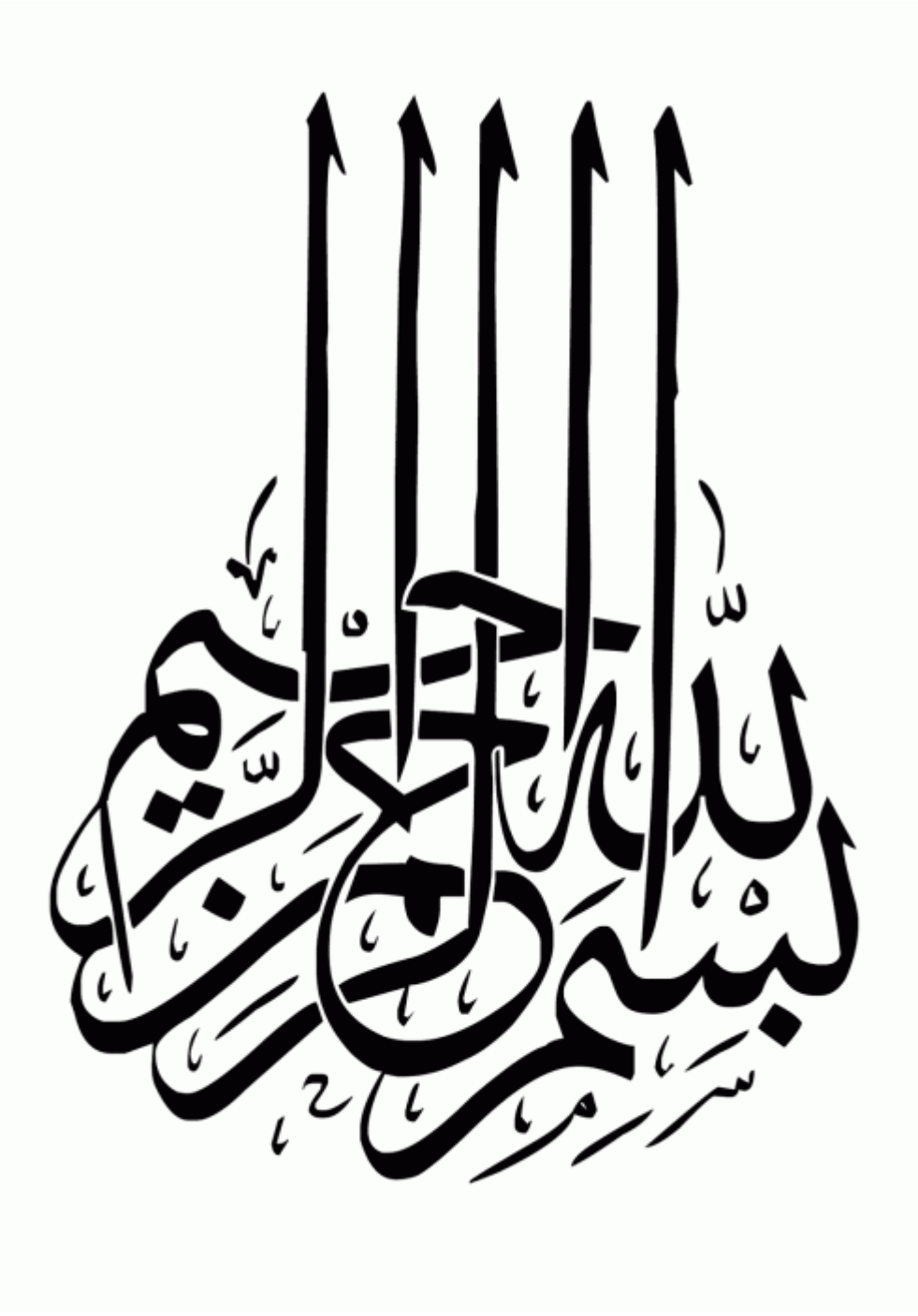
بسم الله الرحمن الرحيم

الاستهلال

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَاتٖ مَّنۡ نَّشَآءُ

وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾

(سورة يوسف۞ الآية 76)

نحمد الله ونشكره فله الفضل كلّه في تمام هذا البحث الذّي وإن تمّ فلن يبلغ الكمال، لأنَّ الكمال صفة المولى وحده عزّ وجلّ.

ويطيب لنا بعد هذا العمل المتواضع أن نتقدم بجزيل الشكر والامتنان العظيم للأستاذة الدّكتورة "ليلى كادة" التي رافقتنا في هذا العمل مذ أن كان فكرة، ولم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها السّديدة.

كما نرفع أسمى آيات الشكر والتقدير إلى أساتذة قسم الآداب واللّغة العربية بجامعة بسكرة الأفاضل؛ فلقد بذلوا كل ما في وسعهم لأجل تكونينا والحمد لله فقد كانت بصماتهم جلية في جميع خطواتنا.

لا يفوتنا في هذا المقام أن نوجّه خالص الشكر والتقدير، لأعضاء اللجنة الموقرة لأنَّها ستثري هذا العمل بملاحظات قيّمة وتوجيهات سديدة، فلهم منا كل التقدير والاحترام سلفًا وجزاهم الله عنا خير الجزاء.

الطالبتان: نسرين بقور ونميرة قادري.

مقدّمة

مقدّمة

مقدّمة:

يعد أسلوب التهكم من المواضيع التي لاقت رواجًا كبيرًا في الدَّرس البلاغي، والأسلوب التهكمي لا يقتصر على كونه جمالية تستحسن في الكلام أو تزيد من رونقه إنَّما يتعدى ذلك إلى حمولته التي تشحن بالتَّضاد والمفارقة وهذا ما نجده متجسدًا في الواقع حيث يبلغ تأثيره على المتلقي تفاعلاً واستعمالاً، فنجده بارزًا في قضايا عديدة أهمها السياسية، إذ يتضح الاختلاف عن غيره من الأساليب التي تعتمدها النصوص وتكون مقتصرة فقط على إضفاء نوع من الجمالية الفنية، حيث إنَّ خصيصة هذا الأسلوب في واقعيته التي تشد وتؤثر في المتلقي أيّما تأثير، وذلك بنبرة غاضبة ورافضة لكل السلوكيات الفاسدة.

ومما لا شك فيه أنَّ هذا الأسلوب الكلامي لا يأخذ الطريقة الواضحة والمباشرة للكلام وإنَّما يكون أساسه وطابعه الذي يضيفه على أي نمط خطابي بمختلف أنواعه، هو الخروج عن الظاهر ومخالفته حسب المقاصد والأغراض التي يروم إليها المتكلم، وهذا الخروج يجري في سياقات معينة.

ولقد كانت علوم البلاغة (المعاني والبيان) الفضاء الواسع الذّي يتجسد فيه التهكم، وذلك من خلال الأساليب المختلفة لكلا العلمين، ففي كثير من الأحيان تخرج هذه الأساليب من معانيها الظاهرة لتفيد معان أخرى تتناسب مع المقام الذّي ترد فيه، والتهكم يمثل أبرز نموذج لهذا الخروج وذلك للمفارقة التي يقوم عليها، حيث يصعب علينا معرفة ما يرمي إليه المتكلم إلاَّ من خلال قرائن ترد في السياق الكلامي، فبواسطتها نصل إلى مقصد المتكلم.

فالتداولية كنظرية لسانية، اهتمت بالجانب الاستعمالي للغة وهو الجانب الذّي أهملته وأغفلته النظّريات السّابقة وهذا ما مكننا من دراسة الموضوع دراسة تداولية، لأنَّ البحث في

المقاصد المضمرة وربطها بالمقامات التي ترد فيها يعتبر من صميم الفكر التّداولي، مع مراعاة المعطيات البلاغية التي تلعب دورًا كبيرًا في الكشف عن ظاهرة التهكم في الكلام.

وهنا تتضح أهمية هذا الموضوع، في تزويد المهتمين بالبحث في مجال التّداولية بالتأويل والوقوف خلف مقاصد المتكلمين بكل ما تمنحه الأساليب التهكمية وتتيح لهم فرصة الولوج إلى المكامن الخفية ومن خلال ظاهر الكلام، كما تتيح لنا فهمًا واسعًا بطبيعة التّهكم، وكيفية تأثيره في نفسية المتلقي.

ويعتبر الماغوط أحد أهم الأدباء الذّين اشتهروا بأسلوبهم التهكمي الساخر في أعمالهم وكتاباتهم، ومن هنا جاء اختيارنا لأحد أعماله لتكون محور دراستنا الموسومة بـ: «التهكم في ديوان البدوي الأحمر لمحمد الماغوط–مقاربة تداولية لنماذج مختارة– »

أمّا الأسباب والدّوافع التي جعلتنا ننتقي هذا الموضوع فتتمثل في:

- اهتمامنا بموضوع اللسانيات التّداولية ومميزاتها التي جعلتها المنهج الأجدر –في تصورنا– بالتحليل اللغّوي، ومنهجا متكاملا يعمل على كشف كوامن الخطاب، وكذلك لرغبتنا الخاصة في التعمق أكثر في مجال التّداوليات.
- رغبتنا الشّديدة في دراسة نصوص البدوي الأحمر، وذلك لمضامين هذه النّصوص والمعاني التهكمية التي تعتريها بمختلف الأساليب البلاغية، مع إمكانية ربطها بالسّياقات التي أنجزت فيها.
- أما سبب اختيارنا "لمحمد الماغوط" فراجع لتصويره الواقع الخارجي بصورة تهكمية معبّرة، تدل على عمق التجربة المعيشة.

وتمثلت إشكالية بحثنا في سؤال أساسي هو:

كيف تشتغل التّداولية على الخطاب السّردي التهكمي؟

تندرج تحت هذه الإشكالية المحورية مجموعة من التساؤلات أهمها:

1. هل تفكيك الخطاب السّردي التّهكمي يمكنّنا من الوصول إلى المقاصد المضمرة خلفه؟
2. ما الدّور الذّي يعكسه السّياق العام الذّي ينجز فيه الخطاب؟
3. كيف يتم الانتقال من المعاني الظّاهرة إلى المعاني التّهكمية المضمرة؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسم البحث إلى: مقدمة، وفصلين، وخاتمة سعت لظفر بمحصوله.

وقد جاء الفصل النظري موسومًا بـ: "التهكم والتّداولية"، وقسمناه إلى مبحثين، تطرقنا في المبحث الأول: إلى مفهوم التهكم، وأصوله البلاغية، ومصطلحاته، ومجالاته، أمّا المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى: مفهوم التّداولية وأصولها، ودرجاتها، وأهم محاورها.

أما الفصل التطبيقي فجاء موسومًا بـ: "التحليل التداولي لأسلوب التهكم من خلال نصوص "البدوي الأحمر".

وقسمناه إلى مبحثين، تطرقنّا في المبحث الأوّل إلى التّحليل التّداولي للتهكم في علم المعاني (الأساليب الإنشائية الطّلبية) وذلك من خلال أسلوب الاستفهام، والنداء والأمر، أما المبحث الثّاني فخصّصناه للتحليل التّداولي للتهكم في علم البيان، من خلال الاستعارة، والتشبيه، والكناية.

ثم ختمنا هذا البحث برصد أهم النّتائج المتوصل إليها، معتمدين في ذلك على المنهج التداولي، الذّي يدرس علاقة النشاط اللّغوي بمستعمليه، والسّياقات المختلفة التي ينجز فيها الخطاب.

وقد استعنّا في هذا البحث بجملة من المصادر والمراجع تنوّعت بتنوع فصوله، من بينها: كتاب السّخرية في الشّعر المصري في القرن العشرين لسعيد أحمد غراب، والسخرية في أدب المازني لحامد عبد الهوال، والتداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، ومدخل إلى دراسة بعض الظّواهر التّداولية لعمر بلخير، والمكون التّداولي في النظرية اللسانية العربية (ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجًا) لليلى كادة وأسلوب التهكم في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي دراسة تداولية لعبد الحكيم خرشوش.

أمّا أهم الصّعوبات التي اعترضتنا في بحثنا هذا: فتتمثل في ندرة الدّراسات والمراجع التي اهتمت بتحليل وشرح نصوص البدوي الأحمر، الأمر الذّي جعلنا نبذل جهدا أكثر في التحليل والتأويل وفك شفرات هذه النّصوص، والوقوف على المقاصد التّي يريد الشاعر تمريرها.

كذلك تعذر الحصول على المراجع والكتب من المكتبة وذلك بسبب الظروف التي تمر بها البلاد والعالم بسبب جائحة كورونا وما ترتب عنها من غلق لجميع المرافق وبالتالي تعذر علينا التنقل للحصول على المراجع واثراء البحث أكثر.

ورغم كل المجهودات المبذولة في هذا العمل؛ فإنَّه لن يبلغ الكمال، وإن كان لابدّ من كلمة تتوّج هذه المقدّمة، فهي كلمة شكر وتقدير وعرفان للدكتورة "ليلى كادة" التي أشرفت

على هذا البحث، ولم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها التي رافقتنا في رحلة البحث إلى أن أتممناه بعون الله تعالى.

وفي الأخير نحمد الله تعالى الذّي وفقنا لإتمام هذا العمل ونسأله التوفيق والسّداد.

الفصل الأوّل:

التمكّم والتداولية مفاهيم وأصول.

الفصل الأوّل: التهكم والتداولية مفاهيم وأصول.

توطئة:

إنَّ من وسائل التواصل التي تمنح لمنجز الخطاب حتى يشكل الذات الفاعلة تواصلاً وتأثيرًا أسلوب التهكم، هذا الأخير الذي برز في الأساليب التداولية وذاع استعماله عند العديد ممن اختاروا الانتقال من المعاني الظاهرة إلى المعاني الخفية، فأصبح التهكم عندهم المآل والسبيل ولا يخفى أنَّ لهذه الإمكانية علاقة بالتداولية اعتبارا أنَّها إحدى الوسائل المهمة في التداول فيتم من خلالها التلميح عن المراد ودراسة المعنى الخفي بحذافيره من التأويل ودرجات سلميته وما يرمي إليه المقال الذي قيل فيه وغيرها كما يضيف جمالية ملحوظة على العملية التواصلية أي إنَّ المسكوت عنه يؤثر في العملية التواصلية أكثر من المصرح به.

المبحث الأوّل: التهكم

1. مفهوم التهكم:

يراد بالتهكم ذلك الأسلوب الذي يكسر سير التواصل غرضه الأول والأخير النيل من المتلقي بالسلب فيحول معنى الحديث من جد إلى هزل فهو أسلوب فني بلاغي معقد والتهكم: هو الاستهزاء أو السخرية، وهو ما كان ظاهره جدًا وباطنه هزلاً، التهكم عند المحدثين طريقة من طرق البلاغة، وهي أن تريد شيئًا وتظهر غيره، أي أن تعبر عما تريد أن تقوله بقول مضاد له، فتجيئ بالذم في قالب المدح، أو بالجد في قالب المزح، أو بالحق في قالب

الباطل. والغرض من هذا التعبير المخالف للحقيقة تقويم السلوك بطريقة الفكاهة وسرعة البديهة. [1]

إضافة إلى ذلك فيعتبر: «التهكم هو الرغبة في نقد العيوب الجسدية والنفسية والاجتماعية والسياسية بهدف إصلاحها وتقويم المعوج، ولا أجدى من الفكاهة والتهكم فهما اللذان يوجهان عادات المجتمع والأفراد وتنقيتها من العيوب الاجتماعية وغير الاجتماعية وهذا يتطلب من الأديب والشاعر أن يكون ذا بصيرة بأحوال المجتمع ومراقبة عيوبه ومساوئه». [2] فهو يحاول أن يعدل من عادات المجتمع الغير المتزنة وللتعرف على المصطلح أكثر لابد من الولوج إليه عبر مفهوميه المعجمي والاصطلاحي.

1.1. المفهوم المعجمي:

تحمل مادة (هَ كَ مَ) عدَّة دلالات لغوية وهي كالآتي: عرفه ابن فارس (ت395هـ) في معجمه "مقاييس اللغة": «(هك)الهاء والكاف أصيل يدل على انفراج شيء أو شق يقال أنهك صلا المرأة انهكاكا انفرج عند الولادة ويقولون هكه بالسيف ضربه والهك المطر الشديدة لأنَّه يهك الأرض وانهكت البئر تهورت».[3]

وعرفه الفيروز آبادي (ت817هـ) في قاموسه "المحيط": «هاكاه: استصغر عقله».[4]

---

[1] ينظر: مفهوم التهكم في نصوص محمد الماغوط المسرحية، فاتن حسين ناجي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد4، العدد1، ص: 215.

[2] السخرية في شعر نديم محمد: دريباتي آصف، دار الجنان للنشر والتوزيع، (د. ب)، 2016، (د. ط)، ص:11.

[3] مقاييس اللغة: ابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979، (د. ط)، ص: 11.

[4] القاموس المحيط: الفيروز آبادي، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (د. ب)، 2005، طبعة 8، ص: 1343.

وفي معجم "المنجد في اللغة" جاء تعريف مصطلح التهكم بـ «تَهَكَّمَ تِ البئر ونحوها: تهدَّمت وفلانًا بفلان: استهزأ به. وزيدًا: طعنه متداركا والرجُل: تبختر وتكذَّب وجاوز القدر في الاشياء وعلى فلان: اشتَّد غضبه عليه وعلى الأمر الفائت تندمَّ، والمطرُ: المتقحِّم على مالا يعنيه الذي يتعرَّض للناس بشَرُّه. الأهكومة: الاستهزاء، المستهكم: المتكبِّر».[1] من خلال هاته التعريفات الواردة للتهكم فهو: يقوم جوهره ومعناه في العربية على أساس الاستهزاء من ناحية والهدم من ناحية أخرى وهذا التضمين البالغ لمعنى الهدم. [2] أي أنَّه لا يخرج عن معنى الهزء والاستخفاف، بغرض تحطيم كيان المتلقي لهذا النوع من الاغراض.

مصطلح التهكم كما جاء في المعاجم العربية كلها لها طريق واحد يدور في فلك واحد وهو الاستهزاء والاحتقار.

2.1. المفهوم الاصطلاحي:

مصطلح التهكم مصطلح متداخل مع عدة مصطلحات أخرى عند الأدباء والبلاغيين هذا ما جعله يكون صعبا من بين تلك المصطلحات السخرية والهجاء والفكاهة، فالتهكم يعني الضحك والاستهزاء وهو الاستخفاف بالشيء والعبث الهادف به، فهو جدير بأن يكون التهكم عبارة عن نادرة أو خبرا موحيا في مناسبته أو أقصوصة صغيرة فهي بذلك ترمز إلى عيب من العيوب بطبيعة الحال أو تصوره وذلك يستدعي أن يكون منصبا على فرد أو طائفة أو أكثر فمدار اهتمام التهكم هو العادات الاجتماعية الغير متزنة أو الظواهر الخلقية الثابتة أو

---

[1] المنجد في اللغة: لويس معلوف، دار المشرق، بيروت، (د. س)، ط 23، ص: 869.

[2] ينظر: الفكاهة و الضحك رؤية جديدة: شاكر عبد الحميد، منشورات عالم المعرفة، الكويت، 2003، (د. ط)، ص: 41.

الطارئة. [1] أي إنَّه يدخل ضمن نوع من الأنواع الأدبية لكي يبين من خلالها مصب العيوب الكائنة في العادات الاجتماعية.

والتهكم أيضا: « نجد فيه نوعا من الزجر والردع الشبيه بالعفوية»[2] إلا أنَّه أخف منهما وقعا وإن اتفق معهما في الغاية منه وهي خدمة الفرد والمجتمع حيث يكون المبعث الاول للتهكم هو الرغبة في الاصلاح فهو يحاول الإصلاح بطريقة شبه قاسية أي أنَّه سلاح فتاك يقضي على كل ما هو سلبي في المجتمع بغرض التهذيب والاصلاح ليبرأ منه أو من بعضه ليخافه إن لم يكن فيه. [3]

المعنى المعجمي والاصطلاحي للتهكم، حالنا إلى عنصر التكامل في أنَّ التهكم هو النقد وإخراج المعنى عن معناه أي اللفظ الذي يستعمل في ضد معناه الظاهر.

2. الاصول البلاغية لأسلوب التهكم:

لو بحثنا في نشأة مصطلح التهكم فإنَّنا نجد موضوعه لم يكن في كتب الأقدمين [...]مصنف مستقل بل كانت مباحثه وأساليبه وأمثلته مبثوثة في كتب البلاغة والنقد والأدب ودواوين الشعر فمن هذه الكتب ما تناول مجموعة من أساليب التهكم ومباحثها ومنها ما اكتفى بالحديث عن مبحث وأسلوب واحد بل منها ما أشار إليه على أنَّ هناك تهكما. [4] وممن ذكروه في مصنفاتهم البلاغية كثيرون نذكر من بينهم:

---

[1] ينظر: السخرية في أدب المازني حامد عبد الهوال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ب) 1982، (د. ط)، ص:17.

[2] مفهوم التهكم في نصوص محمد الماغوط المسرحية: فاتن حسين ناجي، ص: 214.

[3] ينظر: فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع والتدوير والبخلاء والحيوان، رابح محمد العربي، دار الكتاب الثقافي، (د. ب)، (د. س)، (د. ط)، ص: 7.

[4] ينظر: أساليب السخرية في البلاغة العربية دراسة تحليلية تطبيقية، شعيب بن محمد عبد الرحمان الغزالي، رسالة ماجيستير مخطوطة، كلية اللغة العربية، جامعة ام القرى، 1993هـ، ص: 21.

"الفراء" (ت207هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران الآية 21) والبشارة إنما تكون في الخير فقد قيل ذلك في الشر فاستعار بالإثابة هنا للعقاب على سبيل التهكم».[1]

أثبت "الفراء" أنَّ المعاني الظاهرة متناقضة للمعاني المقصودة لأنَّه كما ورد أنَّ الاثابة مقصدها العقاب والبشارة مقصدها الخير.

نجد كذلك "الثعالبي" (ت430هـ) تحدث في كتابه "فقه اللغة وسر العربية" في فصل له سماه فصل في المدح «يراد به الذم فيجري مجرى التهكم والهزل».[2]

يقول: «العرب تفعل ذلك فتقول للرجل تستجهله يا عاقل وللمرأة تستقبحها يا قمر وفي القرآن ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان الآية 49)». [3] فالآية الكريمة وضحت لنا القول الذي سبقها، فالمراد هنا التوبيخ، فهي تحمل معنى الاذلال في قالب المدح.

يأتي هنا " الزمخشري"(ت538هـ) في كتابه الكشاف فقام بتوظيف مصطلح التهكم، في قوله « قد يفيد الاستفهام بالهمزة معنى التهكم الذي يوحي به قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات الآية 16) والتعليم هنا الاحاطة والشعور بالشيء وفي ذلك تجهيل لأعراب بني أسد وتهكم بهم أو أنهم آمنوا ثم وقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به غير أن هذا التهكم هو تهكم الخالق

---

[1] الفاظ العقاب الدنيوي في القران الكريم دراسة دلالية: أحمد إبراهيم خضر اللهيبي، دار الكتاب الثقافي، (د. ب)، (د.س)، (د. ط)، ص:211.

[2] نقد اللغة العربية: أبي منصور الثعالبي، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، 2000، (د. ط)، ص:371 .

[3] المرجع نفسه: ص: 371.

بالمخلوق حيث يصدر عنه ممارسات تخرج عن النهج الذي رسمه هذا الخالق». [1] هنا استخفاف بالأعراب اللذين دخل الشك قلوبهم ولم يأمنوا بالله فنزلت آيته الكريمة على أنَّ الله أعلم ما في القلوب وهو أعلم ما في السماوات والارض، وهنا مكمن التهكم.

"أبو الإصبع المصري" (ت654 هـ) في كتابه تحرير التحبير أفرد هو الآخر قسما تحدث فيه عن التهكم حيث أنَّه« فرق بين التهكم والهزل الذي يراد به الجد لأنَّ الهزل الذي يراد به الجد يكون ظاهره هزلاً وباطنه جدًا».[2] التفريق جاء في محله لو كان التهكم نفسه نفس الهزل لأصبح هناك تشابه في المصطلحات ولا تؤدي بعد ذلك أي وظيفة مختلفة فما يعنينا هنا هو التهكم الذي يكون معناه الظاهر الهزلي عكس المعنى الخفي.

تأصلت جذور التهكم في أمهات الكتب البلاغية القديمة فحظيت بقسم غني من معاني وأقوال وشواهد شعرية وقرآنية بينت لنا معنى التهكم وأثره، لا ننفي كذلك أنَّ العصر الحديث له حصة الاسد من الكتابات التي نادت بأسلوب التهكم فلقد تناوله الكثير ممَّن كتبوا في البديع خاصَّة أو في علوم البلاغة عامّة، فذكروه تحت باب البديع ضمن المحسنات المعنوية، أو أثناء الحديث على أنواع الاستعارة. [3] من بينهم "فلاح حسن محمد الجبوري"، في كتابه "قطوف دانية في علوم البلاغة المعاني، البيان، البديع" تحدث عن التهكم في عنصر خروج النهي إلى معنى التهكم والاستهزاء فقال يفيد النهي معنى التهكم والاستهزاء إذا كان في مطلوبه غاية الحط من شأن المخاطب، وكان في نفسه واقعا به حقا لا يمكن الفكاك من

---

[1] النظرية البلاغية عند الامام الزمخشري في الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: عطيه نايف عبد الله الغول، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، (د. ب) 2014، ط1، ص:171.

[2] المفارقة في المسرح الشعري في مصر في الربع الأخير من القرن العشرين: عبد التواب محمود عبد اللطيف، شمس للنشر والإعلام، الهضبة الوسطى، القاهرة، 2014، (د. ط)، ص:21.

[3] ينظر: أسلوب التهكم في القرآن الكريم دراسة تحليلية بيانية، أحمد ذياب أحمد عنانزة، رسالة ماجيستير مخطوطة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2005، ص: 19.

اسره ومن ذلك ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿١﴾﴾(النحل ﴿الآية 1) فأمر الله هنا يراد به ثلاث:[1] ونذكر ما يخدم هذا العنصر وهو« فلا تستعجلوه، مراد به قيام الساعة والعذاب ومبتغانا هنا الفائدة التي حملها النهي في هذه الصورة البلاغية، التي هي في سياق قرائن استعجال الكفار ليوم القيامة، إذا استعجالهم على طريق الاستهزاء من دون استعجال على الحقيقة وفي نهيهم عن الاستعجال تهكم بهم ومما يزيد هذا التهكم والاستهزاء بهم صيغة الماضي التي تفيد تحقق وقوع الشيء وكأنَّه حدث ومضى أمره وهذا ضرب من التهكم على استعجالهم لا نهي الحقيقة». [2] "حسن محمد الجبوري" أتى لنا بشرح موجز من خلال مثال الآية وتم التطرق إلى أهم عنصر تحمله وهو التهكم الذي زاد وقعه وفاعليته عن طريق الاستهزاء.

فلقد زخرت بلاغتنا العربية بعدة مؤلفات تحدثت عن التهكم وأفردت له أبوابا واسعة للحديث عن هذا المصطلح ولما له من أثر فني في البلاغة العربية فهي عنيت بجمع كل ماله علاقة بأثر التهكم من نوادر وقصص وحكايات وأولها القرآن الكريم الذي يعتبر أعظم شاهد على هذا الأخير، فلابد أن محاولة المتهكم العظمى هي أن يمحي العيوب المتجذرة في الطابع الإنساني أو تجنبها سواء كانت هذه العادات اجتماعية أو واقع سياسي غير متزن؛ فكان له الأثر الهادف من هذا الجانب السلبي إضافة إلى ذلك، الحس الفني الذي يضيفه.

3. مصطلحات التهكم:

مصطلح التهكم متصل مع عدة مصطلحات أخرى تشير إلى نفس المعنى وإلى نفس العمل الفني الأدبي والبلاغي فارتبطت به أشد الارتباط وصعب بعد ذلك التفرقة بينها وبين

[1] ينظر: قطوف دانية في علوم البلاغة المعاني البيان البديع: فلاح حسن محمد الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان 1971، (د. ط)، ص: 34.

[2] المرجع نفسه: فلاح حسن محمد الجبوري، ص: 35.

مصطلحاتها الدالة عليها والقريبة منها لتقارب المضامين فيما بينها، ولكي تتضح لنا الصورة لابد من التعرف على هاته المصطلحات وأن نقف عليها من كل جوانبها على مستواها المعجمي والاصطلاحي ونحاول بعد ذلك أن نبين الفروق بينها وبين التهكم. [1]

1.3. السخرية:

ترتبط السخرية ارتباطا وثيقا بينها وبين مفهوم التهكم« فهي تعني الهزء بالغير».[2] وجاءت في "المعجم الوجيز" «سخر منه وبه_ سَخرًا، وسُخرًا، وسُخريَّةٌ، وسُخرِيَةٌ: هزئ تشير مادة سخر إلى معنى واحد وهو الاستهزاء والاستخفاف بالغير.

وفي التنزيل العزيز: قَالَ ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴿٣٨﴾(هود﴿ الآية 38)».[3]

أما من ناحية المعنى الاصطلاحي للسخرية: « فإننا حين نتحدث عن مفهوم السخرية يتراءى لنا أنَّ النقاد والباحثين لم يتكلموا عنها بصورة مستقلة تماما، وإنَّما تكلموا عنها باعتبارها جزءًا من ظاهرة عامة في الطبيعة البشرية»[4]. لا يخرج محتواها على الفكاهة والضحك.

---

[1] ينظر: أسلوب التهكم في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي دراسة تداولية، عبد الحكيم خرشوش، رسالة ماجيستير مخطوطة، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015_2016، ص: 21.

[2] السخرية في شعر البردوني دراسة دلالية: عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، المكتب الجامعي الحديث، جامعة كركوك، العراق،2011، (د. ط)، ص: 10.

[3] المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية جمهورية مصر العربية، يناير2011، الطبعة 5، ص: 438.

[4] السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين: سعيد أحمد غراب، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، مصر، 2009، ط1، ص: 20.

ومن اللذين تناولوا السخرية بالتعريف "عبد الحليم حنفي" «السخرية أسلوب أو سلاح عدائي مهما كانت دوافعها ومهما كان مقامها ومهما صغرت درجتها أو كبرت، ويتميز عن غيره من أساليب العداء بأنَّه مصوغ بروح الفكاهة وأسلوبها، ليست السخرية عدائية دائما بل قد تكون عدائية مهما كان مقامها أو دوافعها فأمر لا يستقيم هكذا على إطلاقه إلا إن كنا نقصد أنَّها كذلك من وجهة نظر المسخور منه». [1] السخرية تتلون بروح الفكاهة على الرغم من أنَّها عدائية الى أبعد الحدود.

نستطيع أن نقول أنَّ التهكم والسخرية هما في الأصح مصطلح واحد والتهكم شكل من أشكال السخرية فيتجلى ضمنها، كلون من ألوانها فكلاهما ينص على أنَّها هي الاستهزاء والنقد الذي يهدف إلى الإصلاح إضافة على ذلك فهي وسيلة من وسائل الإضحاك. فالتهكم والسخرية هما فعل كلامي غير مباشر باعتبار أنَّ ما يقال عكس المعنى الذي يراد به فالسياق هومن يحدد لنا ذلك.

بعد الذي تم ذكره نستطيع أن نستخرج الفروق الحاصلة بين المصطلحين وعملهما الأدبي والبلاغي فنحن نعتقد أنَّ التهكم شكل من أشكال السخرية، أو آلية من آلياتها، والسخرية تسير في اتجاهين: اتجاه إيجابي بناء، واتجاه سلبي هَدام فالسخرية تتفاوت درجة حدتها وقسوتها بحسب ما تقتضيه الظروف ثم تقوى السخرية شيئا فشيئا حتى تصبح هوجاء،

[1] السخرية وأساليبها في أدب ابن محرز الوهراني: أحمد طيباوي، رسالة ماجيستير مخطوطة، في اللغة والأدب العربي، تخصص الأدب العربي قديما وحديثا، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ص: 14.

تنال من هدفها دون مواربة، وعندها تسمى تهكما [1]؛ و هنا يكمن الفرق، إضافة إلى ذلك يعتمد التهكم دائما على الاندفاع مباشرة بالعنف ولا تأخذه أي رأفة.

2.3. الهجاء:

جاء في "المعجم الوسيط "«هجا الكتاب هَجْوًا، وهِجَاءُ: ذمهُ وعدد معَايبه. ويقال: المرأَةُ تهجو صحبةَ زوجها، والهجاء: السَّبُّ وتعديدُ المعايب » .[2] فنجد أنَّ:

معاني كلمة هجاء تدور حول« البشاعة والشدة والنكال والكشف».[3]، مصطلح الهجاء هو مصطلح مناقض تماما للمدح فهو يعمل على النقد والسب في المعايب .

من خلال هذا يتراءى لنا أنَّ للهجاء والتهكم فروق لعل أبرزها هي كالآتي:

التهكم هو الذم مباشرة فهو ممتلئ بالمرارة والأسى، في حين أنَّ الهجاء فيبقى ظاهره يدل عل المدح إلى أنَّ القرائن هي من تبين أنَّه يقصد عكس المدح أي الهجاء والذم.

3.3.الفكاهة:

الفكاهة تستمد بعض خصائصها من أسلوب التهكم فهي تعني في "المعجم الوجيز" «(فَكِهَ)_فَكَاهَةً: كان طيب النفس مَزَّاحاً. ومنه تعجَّبَ. فهو فَكِهُ، وفاكِهُ، (فَكَّهَ) القَوْمَ: أطْرَفَهُم

---

[1] ينظر: خطاب المفارقة في الامثال العربية مجمع الأمثال للميداني أنموذجا، بن صالح نوال، أطروحة دكتوراه مخطوطة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة بسكرة،2011_2012، ص: 202.

[2] المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مادة هجا، (د. ب)، 2011، ط1، ص: 1015.

[3] الهجاء في الأدب الأندلسي: فوزي عيسى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2007، ط1، ص: 12.

بِمُلَحِ الكلامِ، (تَفَاكَهَ) القومُ: تَمَازَحُوا». [1] فهو يعني السرور والترفيه عن النفس.

جاء كذلك في «قاموس أكسفورد الفكاهة بأنَّها تلك الخاصية المتعلقة بالأفعال والكتابة والكلام ...الخ، التي تستثير المتعة والمرح والمزاح». [2] فتتعلق بالظرافة والنكات قد تكون هادفة أي تعمل على النقد المضحك.

ورد مصطلح الفكاهة في القران الكريم في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴿٢٩﴾﴾ (المطففين﴿ الآية 29) قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ « وصف أحوال الكفار في الدنيا مع المؤمنين في استهزائهم بهم». [3] ظهر في هذه الآية عنصر الفكاهة بالاستهزاء.

عندما بحثنا عن التعريف العلمي الاصطلاحي للفكاهة لم نجد لها تعريفا واضحا دقيقا «فهي طرفة، نكتة، حكاية هزلية قصيرة، سرد أو وصف أو قصة عن شخص أو حادث. كما أنَّها تعتبر نادرة أو طرفة تتضمن حكاية أو خبرًا يبعث على الضحك، وتكون مكتوبة أو محكية. وهي في النثر غالبا، ولكنها ترد في الشعر، وقد يغلب الفكاهي حدَّ البراعة بأن يضحك من مآسي الحياة وآلام الشعوب والفكاهة تؤدي الى جو من الضرف والدُّعابة سواءً بكلمة أو بتصوير الخصائص الغريبة والشاذة». [4] ترد الفكاهة شعرًا في غالب الأحيان ولابد

---

[1] المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، مادة (فكه)، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، مصر، 1994، (د. ط)، ص: 497.

[2] الفكاهة والضحك: شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة، الكويت، 2003، (د. ط)، ص: 13.

[3] الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآية الفرقان: القرطبي، تح: عبد الله بن عبد الله المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2006، ط1، ص: 154_155.

[4] المعجم المفصل: محمد التونجي، دار الكتب العلمية ، لبنان، 1999، ط2، ص: 690.

من أنَّ كاتب الفكاهة أو الفكاهي، ذا خبرة وذكاء شديدين لكي يعبر عن مصاعب الحياة بطريقة فكاهية.

بالإضافة إلى ذلك « فالفكاهة مصطلح شامل عام تنضوي تحته كل المصطلحات الموجودة في هذا المجال، أي أنَّه ليس مصطلحًا مقصورًا على المعاني الإيجابية الموجودة في هذا المجال فقط؛ بل على الجوانب الإيجابية والسلبية منه أيضا فالفكاهة يمكن أن تكون سلبية عدوانية، كما في حالة النكات العدوانية ويمكن أن تكون إيجابية، كما في حالة النكات البريئة».[1] تنقسم الفكاهة إلى صنفين قد تحمل في معانيها العدوان عكس ذلك تكون ذات محمل بريء، «الفكاهة فن وفلسفة فهي فن لا يجيده إلا القلائل من الناس، وهي فلسفة لأنَّها يجب أن تكون تعبيرًا عن موقف أو نظرة أو فكرة، تتوسل إليها بلطف ودقة باللمح دون الإطالة وبالتلميح دون التصريح». [2] الفكاهة لا يجيدها كل من هب ودب فقلة قليلة هم من يتميزون بهذا الفن الهادف بعبارته التي تقتصر على التلميح لفهم المعاني.

يتجلى لنا هنا الفرق واضح المسالك بين التهكم والفكاهة، باعتبار أنَّ التهكم في باطنه الجِدّي وظاهره الهزلي والفكاهة التي تكون معتمدة على التلميح دون الإظهار.[3]

والهدف منها هو الإضحاك فلا شك في ذلك، إلاَّ أنَّ التهكم ينعدم منه هذا اللون من الضحك فهو يحاول أن يحسس المتلقي بالغصة.

رغم كل ما تم التطرق إليه نستطيع أن نقول أنَّ هاته المصطلحات تربطها علاقة أصيلة: التهكم، السخرية، الهجاء، الفكاهة، فكل مصطلح من هذه المصطلحات يدعو إلى

---

[1] الفكاهة والضحك: شاكر عبد الحميد، ص: 16.

[2] الفكاهة في الأدب العباسي: وديعة طه النجم، مجلة عالم الفكر، 1982، ص: 11.

[3] ينظر: أسلوب التهكم في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي دراسة تداولية، عبد الحكيم خرشوش، ص: 31.

الضحك والتندر من أجل النيل من الخصم سواء كان ذلك بالإظهار أو التصريح أو بالإخفاء.[1]

4. مجالات التهكم:

توصلنا إلى أنَّ التهكم هو وسيلة لإصلاح الفساد الاجتماعي وتنقية ما يمكن أن يكون من زوائد فاسدة تعكر صفو الحياة الاجتماعية، وأنَّ التهكم يتسلط فقط على تلك العيوب التي تكون محل الغرابة والتساؤل الدائم المستمر عن عدم اتزانها واستقامتها لعادات وطبائع الطرف الآخر.

فالتهكم كما علمنا سابقا يثير الضحك، لتركيزه على هفوات وعيوب الغير فتصبح بعد ذلك مثار للسخرية والاستهزاء رغم كل هذا يبقى الحديث عنه طويل فيحتاج منا إلى شرح وتفصيل دقيقين فنقسم التهكم إلى مجالاته وهي كالآتي:

1.4. التهكم بالعيوب الجسدية:

العيوب البارزة التي تستدعي تهكما «أو ما يسمى بملامح الجسم الخارجية من مثل: الوجه، واللحية، الأنف، قبح الصوت، الجسد كله» .[2] فهنا يدور مدارها حول الجسم وعيوبه.

2.4.التهكم بالعيوب النفسية:

التي تخص عيوب من مثل البخل، والجبن، والغرور، والكذب، والخيانة، والفجور، والغش مما دعا الشعراء إلى فضح أصحابها والتهكم منهم، لتحقيق غرضين متلازمين أولهما:

---

[1] المرجع السابق: ص:31.

[2] أسلوب التهكم في القران الكريم، دراسة تحليلة بيانية: أحمد ذياب أحمد عنانزة، ص: 28.

إصلاح ما في نفوس هؤلاء من أدران وصفات غير حميدة، وثانيهما: هو تنبيه الآخرين على ضرورة تجنبهما، لأنَّهما تسيئان إلى صاحبها.[1]

3.4. التهكم السياسي:

التهكم السياسي عبارة عن تنفيس، إزاء الأوضاع السياسية المتردية الناتجة عن ظلم وقهر الحكام والفساد السياسي السائد، أي على «أنظمة الحكم، وتنازع الخلفاء

والوزراء، وانحرافاتهم، التي تنعكس على المجتمع بانتشار الظلم، والمحاباة في الحكم والعطاء، والتحييز للأقارب و ليس لصاحب الموهبة».[2]

بعد هذه الإشارة الموجزة لمجالات التهكم نلحظ أنَّه قد أخذ حصته في الكتابات الأدبية، فتعددت الأسباب في ذلك ولكل منها مكانته الأدبية، والأديب هو من يوصل لنا ذلك باعتبار أنَّه جزء لا يتجزأ من مجتمعه بجميع حالاته فيستطيع بذلك أن يصلح العيوب ويهذب النفوس ويحاول ولو بقليل أن يعدل السير.

المبحث الثّاني: التداولية "la pragmatique"

1.مفهوم التداولية:

1.1 المفهوم المعجمي:

تعود التداولية في أصلها إلى الجذر اللغوي للفعل الثلاثي (دَوَلَ)، فقد جاء "ابن فارس" (ت395هـ) في معجمه "مقاييس اللغة" على أصلين: «أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللغة: اندال القوم، إذا تحولوا

[1] ينظر: السخرية في شعر نديم، دريباتي آصف، ص: 27.

[2] السخرية والفكاهة في النثر العباسي: نزار عبد الله خليل الضمور، ص: 72.

من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب، تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدّولة لغتان، ويقابل الدولة في المال والدَّولة في الحرب، وإنّما سمي بذلك من قياس الباب، لأنَّه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا ».[1]

وقد وردت مادة(دَوَلَ) عند "الزمخشري" (ت476هـ) في كتابه "أساس البلاغة" «دالت الدَّولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدّوهم، جعل الكثرة لهم عليهم، والله يداول الأيام بين النّاس مرّة لهم ومرّة عليهم». [2]

ووردت مادَّة (دَوَلَ) في "لسان العرب" "لابن منظور" (ت711هـ): «[...]تداولنا الأمر أخذناه بالدَّول. وقالوا: دواليك أي مداولة الأمر، ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين النّاس. وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرّة. وتداولنا الأمر بيننا بمعنى تحاورنا. فعمل هذا مرَّة وهذا مرَّة». [3]

ويتضح لنا من خلال هذه التعريفات التي وردت في المعاجم العربية حول مادة (دَوَلَ) جميعًا تدور في فلك معنى واحد وهو التبدّل والتغيّر، فجميعها تفيد الانتقال من حال إلى حال.

«وتعود تسمية مصطلح التداولية في أصلها الأجنبي(pragmatique) إلى الكلمة اللّاتينية (pragmaticues) العائد استعمالها إلى عام (1440) وتتكون من

---

[1] مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د. ب)، 1979، (د. ط)، ج2، ص: 314.

[2] أساس البلاغة: الزَّمخشري، تح: باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998، ط1، ج1، ص: 303.

[3] لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، (د. س)، (د. ط)، ج1، ص: 252_253.

الجذر(pragma) وتعني عملاً أو فعلاً، ثم صارت الكلمة مع اللّاحقة تطلق على كل ماله نسبته إلى العمل أو الفعل». [1]

2.1. المفهوم الاصطلاحي:

من الصَّعب جدًا تحديد مفهوم اصطلاحي للتداولية، وذلك بسبب الغموض الذّي يغيم على هذا المصطلح، وذلك نتيجة الجهات المتعدّدة التي تجاذبته واهتمت بدراسته من فلاسفة ولسانيين وسيميائيين، وهذا ما صعب مأمورية وضع تعريف واحد شامل جامع لها.

والتداولية هي واحدة من المباحث اللسانية الجديدة التي عزمت على دراسة اللغة والاشتغال عليها من زاوية أخرى مغايرة لسابقاتها، والذي يهمنا في هذه الدِّراسة هو التيار الذي اهتم بالتَّداولية.

وقد تعددت الترجمات العربية للمصطلح الأجنبي (pragmatique) فترجم المصطلح إلى التَّداوليات، المقامية، السياقية، الذرائعية، النفعية، وفي نهاية المطاف وقع الاختيار على مصطلح التداولية أو التداوليات يقول: "طه عبد الرحمان" « وقد وقع اختيارنا منذ(1970م) على مصطلح التداوليات مقابلاً للمصطلح الغربي براغماتيقا؛ لأنَّه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيي الاستعمال والتفاعل معاً».[2]

و قد وقع الاختيار على هذا المصطلح التداوليات دون غيره وذلك لشموليته ودلالته على معنيي التواصل والتفاعل أي التواصل بين المتخاطبين والتفاعل فيما بينهم.

---

[1] اللسانيات التّداولية في الخطاب القانوني: مرتضى جبار كاظم، دار الأمان، الرباط، 2015، ط1، ص: 13.

[2] في أصول الحوار وتجديد الكلام: طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000، ط2، ص: 28.

ويعتبر الفيلسوف الأمريكي "شارل موريس"(Charles mouris) أول من أوجد تعريفا لمصطلح التداولية سنة (1938) في كتابه: "أسس نظرية العلامات"، حين صرح أنَّها جزء من السيميائية، ففي تعريف التداولية يقول: «التداولية هي جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات». [1]

وما نلاحظه هنا هو شساعة هذا التعريف وذلك بتجاوزه المجال اللساني إلى السيميائي.

فالتداولية تركز دراستها على اللغة وهي تعمل، وذلك نتيجة التحاور بين المتخاطبين في سياقات ومقامات واقعية، متجاوزة في ذلك الحدود المعجمية والتراكيب النحوية، أي أنَّها ترفض أن تكون اللغة حبيسة القواميس فقط، فالتداولية تفتح الباب على مصراعيه أمام اللغة ومستعمليها فهي تذهب إلى أبعد من ذلك بدراستها الكلمات والعبارات كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها في مقامات مختلفة.[2]

ويقدم "مسعود صحراوي" تعريفا واضحا للتداولية في كتابه "التداولية عند العلماء العرب" حيث يقول: «هي ليست علمًا لغويًا محضًا بالمعنى التقليدي، علم يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظَّاهرة ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظَّواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويدمج من ثمّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره...». [3]

---

[1] المقاربة التداولية: فرانسواز ارمينكو، تر: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، (د. ب)، 1987، ط1، ص: 12.

[2] ينظر: تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، بهاء الدين محمد مزيد، شمس الدين للنشر و التوزيع، القاهرة، 2010، ط1، ص: 18.

[3] التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: مسعود صحراوي، دار الطليعة، لبنان، 2005، ط1، ص: 16.

وتعرفها "آن ماري ديل "(Anne marir dille)، "وفرانسو ريكانتي"(Francois recanati) كالآتي: «هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك مقدرتها الخطابية». [1]

وعرفتها "آن ربول" و"جاك موشلار" بأنّها: «دراسة استعمال اللغة في مقابل دراسة النسق اللغوي الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاصات اللسانيات». [2]

كما عرَّفها منقونو (Mangueneau): «المكون التداولي يعالج وصف الملفوظات في سياقاتها».[3]ومن كل هذا نستنتج ما تهدف إليه التداولية وهو البحث عن مقاصد الكلام في سياقات معينة.

والذي نلمسه من كل هذه التعريفات أنَّ المنطلق لهذا المصطلح هو لساني بحت، وصميم عمل التداولية هو دراسة العملية التخاطبية برمتها أي؛ دراسة الخطابات بحذافيرها مع مراعاة السياقات التي ترد فيها الخطابات، فهي تراعي حدس مكانة المتخاطبين الاجتماعية والثقافية وغيرها، وكل هذا من أجل توصيل المقاصد للمتلقي والتأثير فيه.

2.أصول التداولية:

تعتبر التداولية النظرية الأنسب لدراسة المنجز اللغوي وربطه بعناصر العملية الخطابية ككل (المتكلم، السامع، السياق) وقد اختلف الباحثون حول منبع هذا المصطلح، فيذهب

---

[1] المقاربة التداولية: فرامنسواز ارمينكو، ص: 12.

[2] القاموس الموسوعي للتداولية: جاك موشلر_آن ريبول، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف دار سيناترا، تونس، 2010، ط 2، ص: 21.

[3] المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: دومينيك منقونو، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، ص: 98.

البعض إلى أنَّ التداولية تكونت على يد ثلاثة فلاسفة هم: "سيرل" (searl) و"أوستين"(austin)، و"بول جرايس" (paul grice)، لكن الذي غاص في هذا المجال المعرفي الجديد يكتشف أنَّ التداولية نبعت من الفلسفة التحليلية وتحديدا فلسفة اللغة العادية.

برزت ملامح الفلسفة التحليلية في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا، على يد الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجه" (Gottlob frege) في كتابه "أسس علم الحساب" وكانت محاضراته بمثابة المرجع لطلاب الفلسفة والمنطق، حيث كان لها مدى واسعًا في تلك الحقبة في مختلف أنحاء أوروبا، وأجرى "فريجه" تحليلات لغوية على العبارات اللغوية وعلى عدة قضايا لعل أهمها هو تمييزه بين مقولتين لغويتين يتباينان مفهوميا ووظيفيًا وهما: (اسم العلم، و الاسم المحمول)، وتتبع الفيلسوف النمساوي "لودفيغ فيتغنشتاين" أثر فريجه، فعاب مبادئ الوضعانية المنطقية وأسس اتجاها فلسفيا جديد سماه "فلسفة اللغة العادية" وأهم ما تتميز به فلسفة "فيتغنشتاين"(Luduig Vittgenstein) التحليلية هو بحثه في المعنى باعتباره زئبقي، وعليه فإنَّ مهمة الفلسفة التحليلية هي إعادة صياغة الإشكالات و الموضوعات الفلسفية على أساس علمي وهو اللغة، وكانت هي المهمة الوحيدة الواضحة التي حددتها الفلسفة التحليلية لنفسها منذ تأسيسها. [1] «ويعود الفضل في استحداث مصطلح التداولية للفيلسوف الأمريكي "شارل بيرس"(Chrles Sandors Peirce)، وهذا في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وهذا من خلال نشره لمقالة بعنوان "كيف نجعل أفكارنا واضحة؟" غير أنَّ الاستعمال الأول لهذا المصطلح كان سنة (1938) على يد الفيلسوف "شارل موريس" الذي أعطى للتداولية تعريفًا في سياق تحديده للإطار العام لعلم

[1] ينظر: التداولية عند العلماء العرب: مسعود صحراوي، ص: 18_19_20.

العلامات (Semiologie)».[1]

رغم أنَّ مصطلح التداولية ظهرت ملامحه مع مطلع القرن العشرين، إلا أنَّ البداية الحقة لهذا المنهج كانت في أواخر القرن الماضي (السبعينات) حيث أصبحت التداولية منهجًا يعتد به في الدَّرس اللغوي المعاصر الفضل في تطوير هذا المصطلح تدريجيًا حتى أصبح نظرية قائمة بذاتها يعود إلى ثلاثة فلاسفة ينتمون إلى التراث الفلسفي بجامعة "أكسفورد"، كما أشرنا سابقا_ وهم: "أوستين"(Austin)،"سيرل"(Searl)، "جرايس"(Graice) وكان تأثرهم بالفلسفة التحليلية نقطة تحول في مسار هذه النظرية، وكانوا يركزون اهتمامهم على عناصر العملية الخطابية وذلك بتوصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية، وكان هذا من صميم عمل التداولية.

فاالسانيات التداولية برزت ملامحها أكثر وتطورت على يد: "جون اوستن" وتلميذه "سيرل" من خلال نظرية أفعال الكلام، التي بدورها فتحت المجال أمام العديد من النظريات للظهور على الساحة اللسانية والعمل تحت سقف اللسانيات التداولية وأبرز هذه النظريات (الاستلزام التخاطبي، القصدية، الحجاج)[2] «وقد نشأت نظرية أفعال الكلام من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة وهو أنَّ الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل

إنجاز حدث اجتماعي معين أيضًا في الوقت نفسه»[3]

---

[1] التداولية دراسة في المجالات والفروع: علجية آيت بوجمعة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص: 161_162.

[2] ينظر: التداولية والبلاغة العربية، باديس لهويمل، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد السابع، بسكرة، الجزائر، 2011، ص: 160.

[3] في اللسانيات التداولية: خليفة بوجادي، دار الحكمة، سطيف، 2009، ط1، ص: 89، نقلا عن: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: فان ديك، ترجمة وتعليق: محمد سعيد البحري، القاهرة، مصر، 2001، ط1، ص: 18.

والجديد الذي قام به "أوستين" في نظريته اللغوية هو أنَّه أوجد فرع آخر من الأفعال سماه: الأفعال الإنجازية (Act performatifs) في مقابلة الأفعال الخبرية (Act constatifs) وبذلك تجاوز «ما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترطه مقياسا وحيدا للحكم على دلالة جملة واحدة وهو مقياس الصدق والكذب، مما حصر العبارات اللغوية في منوال واحد هو العبارات الخبرية، كأن تصف واقعا ما، ويحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع، نحو: الجو جميل هادفة في حال واحدة وهو جمال الجو واقعًا وكاذبة في غير ذلك».[1]

عارض "أوستين" المعيار الذي تحكم به الوضعية المنطقية على دلالة الجملة الواحدة وذلك بطرحه للبديل حيث أطلق عليه اسم: الأفعال الإنجازية، ومن هذا المنطق يثبت "أوستين" أنَّ ما تدل عليه الجملة في اللغة العادية لا يكون دائما إبلاغا يجرنا إلى احتمالية الصدق أو الكذب في الجملة، أما في التداولية فهي تقاس بدرجة الإخفاق أو التوفيق.

وبعد "أوستين" «تبلورت فكرة أفعال الكلام هذه واتضحت أكثر على يد تلميذه "سيرل" الذي أعاد تقسيم الأفعال اللغوية وميز بين أقسامها، كما كانت "لغرايس" مساهمة في تطوير ذلك من خلال بحثه في قضية (الاستلزام الحواري)، من خلال محاضراته التي كانت يلقيها في جامعة (هارفارد) في عام (1967م)، منطلقا في ذلك من نقطة مفادها أنَّ الناس في حواراتهم قد يقصدون أكثر مما يقولون، واضعا بذلك حدودًا بين ما يقال "whatissaid"

[1] المرجع السابق: ص: 89_90.

وبين ما يقصد "whatisemeant" أو ما يطلق عليه المعنى الصَّريح والمعنى الضّمني من خلال مبدأ التعاون "Co_Opertive primcipale" ».[1]

ومن خلال ما ذكرناه سابقًا تتضح لنا الصورة حول المنابع التي انبثقت منها التداولية ونشأت، والتي كانت جذورها متأصلة فيها.

وأشار "ماس" (mass) إلى أربعة منابع أساسية انبثقت منها الدراسات التداولية وهذه لمنابع تلخص لنا كل ما تناولناه سابقًا وهي:

- جهود فريج وكارناب وفيتجنشتاين، حيث كانت جهودهم القاعدة والأساس الذي ظهرت من خلاله ملامح التداولية، وذلك باعتبار اللغة أداة للوصف والتأويل من خلال السيميائيات المنطقية سيميائيات شارل موريس التي أعاد من خلالها النظر بمكون العمل كما أضاف موريس مكون مفهوم السياق.
- الفلسفة الذرائعية الأمريكية (pragmaptisme) لشارل موريس: والتي مفاداها وصميم عملها هو أنَّ مصداقية الأفكار وقيمتها تكون في النتائج الأخيرة والعملية الواضحة.
- اسهامات اوستين، وسيرل، وقرايس، التي أرست دعائم التداولية. [2]

وبعد المخاض الشديد خرجت التداولية إلى النور وحظيت باهتمام الكثير من العلماء وباحثي الأسرة اللسانية، وأصبحت المنهج الأجدر بالتحليل اللغوي.

3.درجات التداولية:

حصر "هانسون" (hanson) اللساني الهولندي، التداولية في ثلاث درجات هي:

---

[1] الوظائف التداولية في المسرح _مسرحية صاحب الجلالة لتوفيق الحكيم أنموذجا: ياسة ظريفة: رسالة ماجيستير مخطوطة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010_2009، ص: 12.

[2] ينظر: التداولية دراسة في المجالات والفروع علجية آيت بوجمعة، ص: 162.

1.3. تداولية الدرجة الأولى: النظرية التلفظية (enonciation):

ويعد العالم الفرنسي "إيميل بينيفيست" أبرز من اشتغل على هذه النظرية، فهو يرى أنَّ اللغة نشاط تحققه عناصر العملية الخطابية أي إنَّ العملية لا تتم دون لغة، وبواسطة اللغة تظهر علامات تميز هذا الخطاب فعليًا، وتبقى هذه العلامات مبهمة مالم نربطها بالسياق الذي وردت فيه، ويطلق "بينيفيست" على هذه العلامات الخاصة بالمؤشرات [1] وهذه العلامات « تتعلق بالعلامات الإشارية من مثل (الأنا، الهنا، الآن)التي تتجلى في الأقوال، وتتضح مرجعيتها في سياق الحديث ولا تتعدد إحالات هذه الرموز إلا بواسطة السياق الذي توظف فيه، وتتضح أكثر في إطار العلاقة بين المتخاصمين والزمان والمكان ... إشارات الزمان والمكان تختلف». [2]

ونستخلص من هذا أن دراسة الخطاب اللغوي في الدرجة الأولى تقوم على ثلاثة عناصر، وهي: (الأنا والهنا والآن):

- **الأنا:** المُخَاطِبْ وهو المصدر الأول الذي ينتج عنه الخطاب، وتتمثل في جميع الضمائر (المتكلم والمخاطب)
- **الهنا:** وهو المكان الذي تنتج فيه حيثيات الخطاب، ويتمثل في ظروف المكان وأسماء الإشارة كلها.
- **الآن:** وهو اللحظة التي تتم فيها العملية الخطابية التواصلية، وتشمل ظروف الزمان والتي يمكن أن تكون مضمرة أو بارزة.

---

[1] ينظر: «مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحي نموذجا)»، عمر بلخير، مجلة إنسانيات، العدد14، 2001، ص: 104.

[2] الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتنبي _مقاربة تداولية: خديجة بو خشة، رسالة ماجيستير مخطوطة، جامعة وهران، 2010_2009، ص: 06.

2.3. تداولية الدرجة الثانية: النظرية الحجاجية(Argumentation):

إنَّ ما يميز النظرية الحجاجية عن سابقتها، وهو شساعتها أي أنَّها فضفاضة تعطي الحرية الكاملة للملفوظات المتتالية فهي لا تحصرها في دلالة واحدة بل تعطيها مجموعة من الاحتمالات تحمل في طياتها اقتضاء تداولي ضمني فهي «تدرس كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحي (الضمني)، بالسعي وراء استنباط ومعرفة العمليات المتسببة في ذلك، فهذه النظرية تنظر إلى اللغة باعتبارها مجموعة من الاقتراحات المسبقة ومن الأقوال المضمرة والاحتجاج وغيرها».[1]

وعليه فإنَّنا نجد أنَّ هذه الدرجة تكون أوسع من الدرجة الأولى؛ لأنَّها لا تعير أهمية للمؤشرات الزمكانية، بل تتعداها إلى الاعتقادات المشتركة بين المتخاطبين وحدسهم، فهي تجيد كيفية الانتقال من المستوى الصَّريح إلى المستوى التلميحي، فكل منطوق له مجموعة من الاحتمالات متفاوتة في الدَّرجات بحسب القوة والضعف.

عندما تقول: «(أنا مريض) تكون قد ألغيت من ذهن سامعك مجموعة من الاحتمالات ولكنها موجودة في ذهنه، وهذا يعني أنَّ كل ملفوظ يحمل قوَّة حجاجية تتردد بين القوة والضعف، أو السلب والإيجاب.

بهذا المعنى سيكون الكلام عبارة عن سلميات متدرجة دلاليا كما هو مبين في الشكل الآتي:

[1] مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحي نموذجا): عمر بالخير، ص: 105.

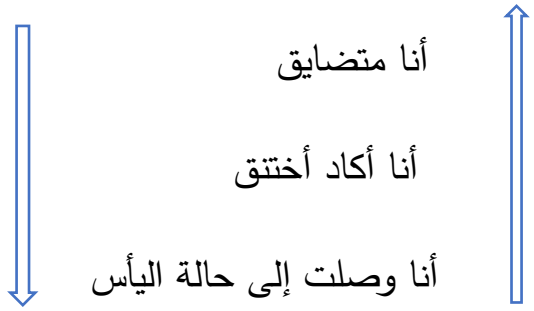

وكلما أنتج المتكلم ملفوظات كانت تحته أو فوقه درجة أخرى أقوى أو أضعف منه دلالة».[1]

وعليه نستنتج أنَّ الملفوظات في سياق محدد لديها العديد من الاحتمالات على درجات متفاوتة في ذهن السامع، لكن عندما أصرح له بواحدة منها فأنا ألغي بقية الاحتمالات في ذهنه، فالانتقال من المستوى الصريح إلى المستوى الضمني يعتبر من صميم عمل النظرية الحجاجية.

3.3. تداولية الدرجة الثالثة: نظرية الافعال الكلامية (Actes du langag):

وتشمل هذه الدرجة الدراسات التي تتعلق بنظريات الأفعال الكلامية «وتنطلق هذه النظرية من مسلمة مفادها أنَّ الأقوال الصادرة عن المتكلمين ضمن وضعيات محددة، تتحول إلى ذات أبعاد اجتماعية». [2]

وعليه فإنَّ نظرية الأفعال الكلامية تركز على قاعدة وهي أنَّ كل ما يتلفظ به أثناء عملية التخاطب في سياق محدد، فهو قابل للإنجاز على أرض الواقع، فعندما يتجسد فعليا على أرض الواقع عندها يصبح فعلا كلاميا. «وتعود هذه النظرية في أول عهدها إلى

---

[1] الأساس المعرفي لمنظومة الإبداع. (مقاربة لسانية تداولية): محمد الحناش، مجلة التواصل اللساني، المجلد 10، العددان1_2، 2001، ص: 84.

[2] مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية: عمر بلخير، ص: 105.

الفلاسفة التحليلين الإنجليز أمثال: "أوستين"(Austin) و"سيرل "(Searl) اللذان بينا أنَّ اللغة ليست بنى ودلالات فقط، بل هي أيضا أفعال كلامية ينجزها المتكلم ليؤدي بها أغراض، فهو عمل يطمح المتكلم بواسطته إلى إحداث تغيير معين في سلوك المخاطب بالفعل أو بالكلام، تقول "أوركيوني" في هذا الصدد إنَّ الكلام هو بدون شك، تبادل المعلومات، ولكنه أيضا إنجاز الأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد».[1]

وبدورها أكدت "كاترين أوركيوني" (orecchioni catherine) على أنَّ الكلام ليس فقط للحوار، بل هو أيضا إنجاز وتبليغ وفق سياقات محددة وقواعد معينة.

4.أهم محاور التداولية:

إنَّ التداولية كحقل معرفي واسع لها العديد من المفاهيم التي تبرز ملامحها، ومن بين الركائز الأساسية التي قامت عليها هذه النظرية نجد:

4.1 الافعال الكلامية (Actes du langag):

إنَّ الحديث عن التداولية يحيلنا مباشرة إلى الحديث عن أفعال الكلام لأنَّها تعتبر المرآة العاكسة، للأعمال التداولية، فالفعل الكلامي هو«[...] كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي، إنجازي، تأثيري، وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعال قولية "acte locutoires" لتحقيق أغراض إنجازية"perlocutoires actes" (كالطلب والأمر والوعد والوعيد ...إلخ)، وغايات تأثيرية "acte perlocutoires" تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما».[2] وعليه فإنَّ

---

[1] المرجع السابق: ص: 105.

[2] التداولية عند العلماء العرب: مسعود صحراوي، ص: 40.

الأفعال الكلامية هي تلك الأفعال القابلة للإنجاز والتي تؤثر في المتلقي وتغير من سلوكه مثلا: كأن يقول رجل لزوجته "أنت طالق"، فهذه العبارة لم تنشئ قولا فحسب، بل أدت فعلا فالوقت نفسه، ويصنف أوستين هذا النوع من الأفعال داخل دائرة الأفعال الادائية.

قسم "أوستين" الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام:

- **فعل القول أو "الفعل اللغوي" (acte locutoire):**

إنَّ فعل القول كان نقطة البدء عند "أوستين" والتي من خلالها غاص في أعماق هذه النظرية، و يقصد به «النطق ببعض الألفاظ والكلمات أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة، متصلة على نحو ما بمعجم معين، ومرتبطة به، وخاضعة لنظامه».[1] فهذا النوع من الأفعال يقصد به قول الشيء فقط شريطة أن تكون الجملة أو الملفوظات منظمة وفق المستويات اللسانية المعروفة(المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي) غير أنَّ "أوستين" استبدل كلمة مستوى بلفظ.

- **الفعل المتضمن في القول (acte illocutoire):**

يعتبر هذا القسم من الأفعال أهم قسم عند "أوستين" ويراد به: «وهو الفعل الإنجازي الحقيقي »[2]

ومحصول القول هو رغم تقسيم أوستين الثلاثي لأفعال الكلام إلاَّ أنَّه ركز على القسم الثاني (الفعل الإنجازي) لأنَّه قسم عملي أكثر من سابقه ونتائجه تجسد على أرض الواقع، كأفعال: الوعد، والتحذير، والامر وغيرها.

---

[1] نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام": أوستين، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 1991، (د. ط)، ص: 116.

[2] التداولية عند العلماء العرب: مسعود صحراوي، ص: 42.

- **الفعل الناتج عن القول (actes perlocutoire):**

وهو ما ينتج عن الأفعال القولية المتتالية المصحوبة بقوى إنجازية «فأن نقول شيئا ما قد يترتب عليه أحيانا أو فالعادة حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره أو تصرفاته كما. يستلزم ذلك لوازم ونتائج قريبة تؤثر على المتكلم، وغيره من الأشخاص الآخرين». [1] كما يطلق عليه البعض باسم الفعل التأثيري.

فهذا القسم يقدم لنا صورة ذهنية عن رد فعل المتلقي بعدما يتلقف قول المتكلم، أي التغيير الذي سوف يطرأ على تصرفاته، ومشاعره، ومن اللوازم التي تؤثر في المتلقي نجد: النصح والإهانة والتوبيخ.

ويمكننا أن نلخص الأفعال الكلامية عند "أوستين" في المخطط الآتي:

المخطط1: تقسيمات أوستين.

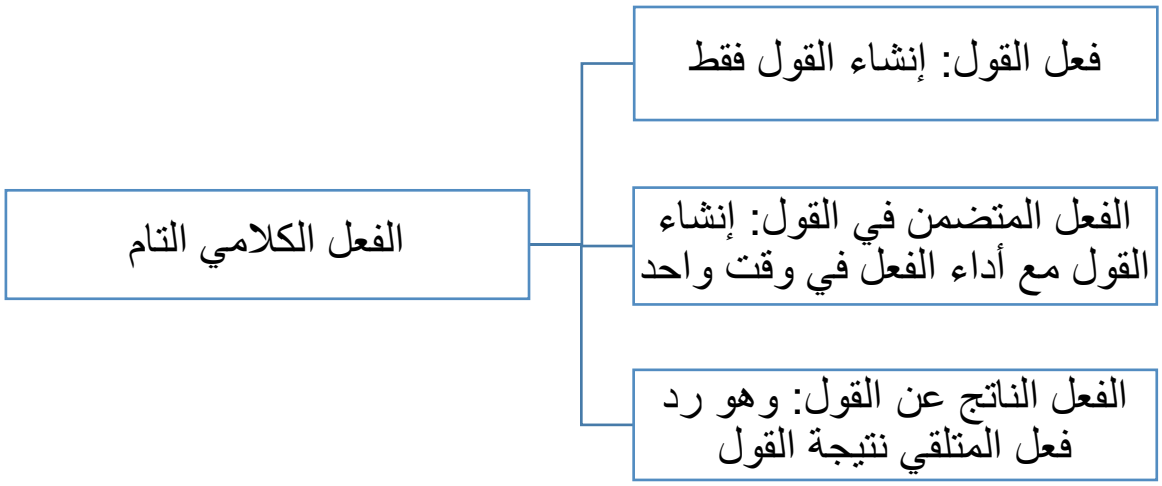

[1] نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام": أوستين، ص: 121.

وعليه نستنتج أنَّ وظيفة اللغة هي استعمال وانجاز للأفعال اللغوية، فيصبح الفعل اللغوي هو أصغر وحدة لغوية استعمالا في التواصل عوض الجملة.

بعد أن وضع "أوستين" الحجر الأساس بتقسيمه الثلاثي، يأتي تلميذه "سيرل" ويوضح أكثر فكرة أستاذه بوضعه شروطا لإنجاز كل فعل، وهذه الشروط تحول الفعل من حال إلى حال،[1] فمثلا عندما يقول الأستاذ لطالب ثرثار، "باب القسم مفتوح" فهو يخضع لمجموعة من الخطوات لإدراك الفعل الذي يقصد إنجازه منها:

زملاؤك يريدون فهم الدَّرس، فأنا أطلب منك التزام الصمت أو الخروج ⟸ (أمر)

من حسن الخلق الإنصات لمن يتحدث⟸ (تنبيه لسوء السُّلوك)

من أراد النَّجاح عليه بالاجتهاد والابتعاد عن الكلام الذي لا فائد منه⟸ (تلميح)

وما جاء به "سيرل" هو أنَّه أعاد النظَّر في تقسيم أستاذه وقدَّم أربعة أقسام هي:

- «فعل التلفظ الصوتي (الصوتي والتركيبي)
- الفعل القضوي (الإحالي والجمالي)
- الفعل الانجازي (على نحو ما فعل أوستين)
- الفعل التأثيري (على نحو ما فعله أوستين)». [2]

ويمكننا تلخيص ما قدمه "سيرل" في المخطط الآتي:

[1] ينظر: في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص: 98.

[2] المرجع السابق: ص: 99.

المخطط 2: تقسيمات سيرل.

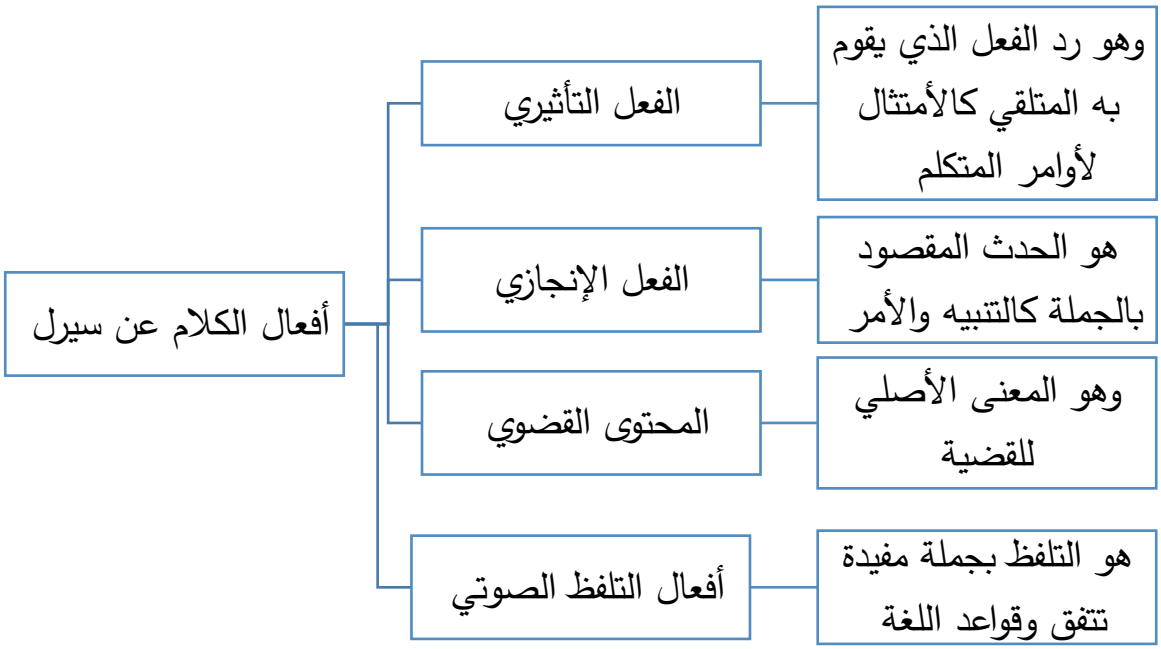

وعليه نستنتج أنَّ ما قام به "سيرل" هو محاولة تطوير نظرية الأفعال الكلامية، انطلاقا من الأرضية التي قام "أوستين" بتصميمها.

2.4. الاستلزام الحواري: (Conversational implicatur)

الاستلزام الحواري واحد من أهم محاور اللسانيات التداولية وموضوع الاستلزام الحواري ينطلق من معنيين الأوّل ما يقصده المرسل والثّاني ما يستنتجه وما ينبغي أن يفهمه المرسل إليه.

ظهر هذا المصطلح لأوّل مرة على يد الفيلسوف "بول جرايس"، والاستلزام الحواري في مفهومه البسيط هو: «عمل المعنى أو لزوم شيء آخر، أو قل إنَّه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءًا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية». [1]

والمقصود هنا هو أنَّ المتكلم يصرح بالحرفي غير المقصود ويخفي المضمر المقصود. «لقد كانت نقطة البدء عند "جرايس" هي أنَّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، ... فأراد أن يقيم معبرًا بين ما يحمله القول من معنى صريح وما يحمله من معنى متضمن فنشأت عنده فكرة الاستلزام(implicature)». [2] وما يرمي إليه "جرايس" ههنا هو أنَّه في كثير من الأحيان تخرج الجملة من معناها المباشر إلى معنى آخر مستلزم، وتتضح لنا الصورة أكثر من خلال المثال الآتي:

- أم تسأل المعلمة عن مدى مهارة ابنتها في القراءة:
- هل ابنتي تُجِيد فنَّ القراءة؟ فتجيب المعلمة:
- إنَّ ابنتك فنَّانة في الرسم.

وما نلاحظه هنا هو أنَّ إجابة المعلمة تحمل معنيين، المعنى الأول حرفي، والمعنى الثاني مستلزم، والمعنى الحرفي هو أنَّ هذه التلميذة لا تتقن القراءة جيدًا، ومن خلال ما ذكر نجد أنَّ المعنى الحرفي هو (الصريح) والمستلزم هو الضمني عند "جرايس"

---

[1] نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس: صلاح اسماعيل، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، مصر، 2005، (د. ط)، ص: 78.

[2] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ط1، ص: 33.

ويمكننا أن نلخص ما جاء به "جرايس" في المخطط الآتي: [1]

مخطط 03: أنواع الدلالة عند جرايس.

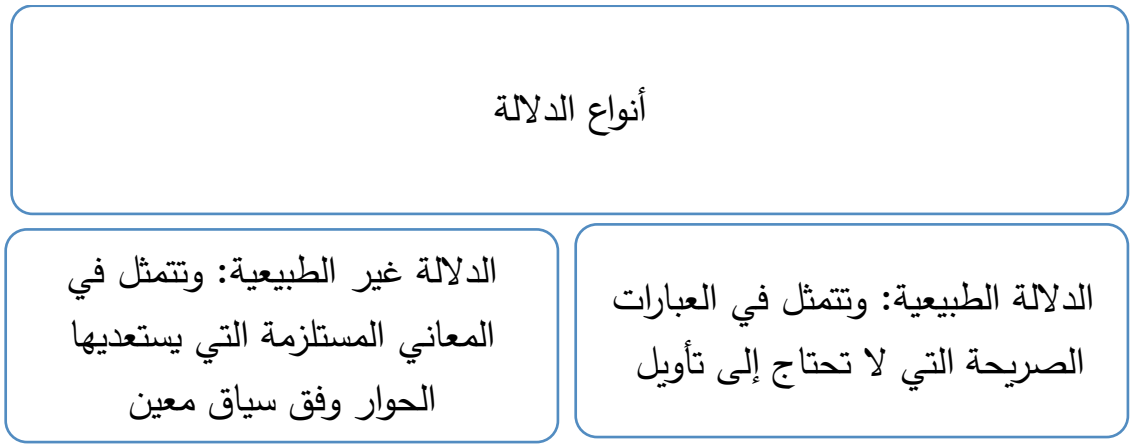

ولضمان السير الحسن للعملية التخاطبية وضع "جرايس" مبدأ سماه بـ: مبدأ التعاون بين المتخاطبين، وتتفرع من هذا المبدأ أربعة قواعد، أي مخالفة لواحدة من هذه القواعد تؤدي إلى عرقلة العملية التخاطبية وصنف هذه القواعد تحت أربعة مقولات هي:

- مقولة الكيف (Quality): مفادها ألا يكذب القائل، أو يقول أي يعتقد أنَّه كذب.
- مقولة الكم (Quantity): مفادها أن يقول ما هو مهم بإيجاز، وألا يزيد أو ينقص عليه.
- مقولة الإضافة (Relation): مفادها أن يكون القول مناسب للموضوع؛ أي ألا يكون الموضوع في جهة وكلام القائل في جهة أخرى.

[1] ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، عمان، 2016، ط1، ص: 100.

- مقولة الجهة (Manner): ومفادها هو أن يكون كلام القائل واضحا وخالي من الغموض ويكون موجز ومنظم.[1]

وبهذه القواعد يضمن "غرايس" نجاح العملية التواصلية، وهذا المبدأ يحقق التواصل الأمثل للمتخاطبين.

إذ تنطلق هذه النظرية من فكرة مفادها، أنَّ مساهمات المتكلمين في المحاورات يحكمها أثناء المحادثة مبدأ عام، مقبول ضمنيا من المتخاطبين. [2]

3.4. الافتراض المسبق: (Présup position)

وهو الافتراضات والمعطيات التي يبنى عليها أفراد العملية التخاطبية حواراتهم، وتكون مشتركة بينهم ومعلومة لديهم من قبل، وتساهم هذه المعلومات المشتركة بشكل كبير في جعل هذا الخطاب أكثر لديهم.

ولفهم هذه العملية أكثر نطرح مثالين:

- حوار بين طرفين (A وB)
- (A)هل تعافى ابنك؟

فالافتراض المسبق هنا هو أن الشخص (B) ابنه مريض، والشخص(A) يعرفه ويعلم بمرض ابنه، فيجيب الطرف (B) على النحو التالي:

نعم تعافى وهو بخير الآن " شكرا لاهتمامك"

---

[1] ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية(ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا)، كادة ليلى، أطروحة دكتوراه مخطوطة، اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ص:65_66.

[2] ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن ريبول، ص: 214.

وأيضا كقولنا الشخص أغلق النافذة أو لا تغلق النافذة، ففي الملفوظين افتراض مسبق وهو أنَّ النافذة مفتوحة.[1]

ومنه يتضح أنَّ هذا العنصر يتطلب وجود خلفيات عن الموضوعات التي تكون بين المتخاطبين في سياقات محددة، فهي تجعل الخطاب مفهوم أكثر، كما تحقق نجاح عملية التواصل.

وعلى سبيل الختم:

إنَّ العلاقة بين البلاغة والتداولية، تتضح في كثير من المفاهيم المشتركة بينها، ولعل أهمها ذلك الجانب المضمر الذي يعتبر أحد أهم ركائز العلمين في الدراسة، اعتبارًا أنَّ التهكم أسلوب بلاغي رصين وأداة استخدمتها التداولية للتعبير عن مقاصدها، فلا ينكر هذه العلاقة إلاَّ جاحد وغافل ولا يبرزها إلاَّ باحث استرعى جوانبها ووقف على ما يحمله التهكم من صور أتاحت وصول المقاصد وعليه تكون التداولية المجال الفسيح الذي وجد التهكم فيه حسن الاستعمال، والقبول، لتخرج التعابير فيهما من دلالتها الصَّريحة وتنطوي في دلالات لا يستجليها إلاَّ العارف بالتهكم.

[1] ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص: 31.

الفصل الثاني:

التحليل التداولي لأسلوب التهكم من خلال نصوص" البدوي الأحمر".

الفصل الثاني: التحليل التداولي لأسلوب التهكم من خلال نصوص "البدوي الأحمر"

تمهيد:

يعدّ الماغوط من أبرز الشعراء الذين انقلبوا على واقعهم الأليم، واشتهر بأدبه السَّاخر الّذي صوَّر من خلاله واقعه المرير والجانب المظلم من حياته، كما عُرِفَ الماغوط بحبه لوطنه، ورفضه للسياسة السَّائدة في وطنه خاصَّة والوطن العربي عامة، وهذا ما جعل من شعره ينبوع سخرية مرير ينتقد ويتساءل ويتمرَّد، وكانت أعمال الماغوط بمثابة اللَّوح الذي يصور فيه ما عاشه من ظلم وألم وفقر وهجا من خلاله الكثيرين، حيث انتقى الماغوط لقلمه أسلوبًا يليق به، وكان هذا الأسلوب ملازما له وهيمن على جميع أعماله، ألا وهو أسلوب التهكم والسخرية، استخدمه للتعبير عن مقاصده، حيث قال الماغوط أنَّه «عندما أفشل في إقناع بوجهة نظري[...] ألجأ إلى السخرية!» [1] فالماغوط استخدم أسلوب التَّهكم لأنَّ هذَّا النوع من الأساليب يلفت الانتباه ويجعل خطابه أكثر حدّة وإقناعًا وتأثيرًا في المتلقي، وذلك لإيصال مقاصده والتعبير عنها وعليه نجد أنَّ كثيرا من الأساليب البلاغية تخرج إلى التهكم الذي يعتبر آلية تنتقل من خلالها من الظاهر إلى الخفي، مع مراعاة السياق الذي ينجز فيه القول.

[1] ديوان البدوي الأحمر: محمد الماغوط، دار المدى، دمشق، سوريا، 2006، ط1، ص:289.

المبحث الأول: التحليل التداولي للتهكم في علم المعاني (الأساليب الإنشائية الطلبية)

تفرّد علماء اللغة العربية بدراسة أحوال اللفظة العربية وذلك من بوابة علم المعاني الذي يضم العديد من القضايا البلاغية منها: الخبر والإنشاء، والتقديم، والتأخير، والحذف والذكر وغيرها من القضايا، وفق ما تستدعيه المقامات، وهذا العلم في أبسط تعريفاته هو: « علم يعرف بأحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال »[1] اختص بتحليل الخطابات داخل سياقات محددة، ولعلَّ أبرزها الخطاب القرآني في قوله تعالى:﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾(الأنعام﴿ الآية 152) وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى:﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴿٣١﴾﴾ (الإسراء﴿الآية31)، فهذا الخطاب القرآني جاء في مقامين مختلفين؛ فلفظة إملاق[*] في المقام الأول كان فيها الإملاق حاصل، أمَّا في المقام الثاني الإملاق لم يحصل بعد، وهنا يبرز دور علم المعاني في التحليل، فهذا التغيير في المعاني أدى إلى تغيير في الألفاظ، وفق ما يتطلبه الحال.

ومن أهم قضايا علم المعاني نجد قضية الخبر والإنشاء التي فصل فيها العلماء كثيرًا ووضعوا معايير للتفريق بينهما.

وفي هذا العنصر سترتكز دراستنا على عينة من النماذج الإنشائية الطلبية، وسنقوم بكشف كيفية خروجها من معانيها الطبيعية إلى معانٍ أخرى يستدعيها المقام.

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني و والبيان والبديع): القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ط1، ص: 04.

[*] إملاق: والإملاق: الافتقار وفي حديث عائشة (رضي الله عنها) "وَيَرِيشُ مُمْلِقُهَا أَيْ يُغْنِي فَقِيرَهَا"، أملقته الخطوب: أفقرته. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ج10، مادة (ملق)، ص: 348.

1. التحليل التداولي للاستفهام التهكمي:

إنَّ الإنسان كائن فضولي بطبعه لا يقبل الغموض، خلقه الله سبحانه وتعالى حتى يبحث ويتأمل ويسأل ويستفهم.

ولعل أنَّ ما يميز اللغة العربية عن اللغات الأخرى هو أساليبها المتنوعة والمختلفة، ومن بين هذه الأساليب نجد أسلوب الاستفهام الذي يعتبر أحد أعمدة أساليب اللغة، وأكثرها استخدامًا في اللغة الأدبية واللغة العادية؛ لأنَّه مفتاح المعرفة.

فإذا كانت اللغة وسيلة التواصل والتخاطب، فإن الاستفهام أبرز أدوات التخاطب، وذلك من خلال الوظيفة التي يؤديها.

وقد عرفه "السكاكي" « الاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكم شيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق، ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق » [1] وعليه فإن الاستفهام في عمومه هو طلب الفهم والاستخبار عن الشيء.

وأدوات الاستفهام تنقسم إلى قسمين: حروف وتتمثل في: الهمزة وهل. وأسماء ما، متى، أين، أيان، أنى، كيف، كم، أي[2]إنَّ استعمال هذه الأدوات في معان غير الاستفهام: قد يخرج الاستفهام فيها من دلالته الأصلية ليفيد دلالات استلزامية عديدة تستفاد من سياق الكلام أهمها الإقرار، الاستهزاء، التشكيك، التوبيخ، الإنكار، وغيرها.[3]

---

[1] مفتاح العلوم: السكاكي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000، ط1، ص: 415.

[2] ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، 1997، ط4، ص: 168.

[3] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، القزويني، ص: 141.

والأمثلة في ذلك كثيرة ومتنوعة منها ما ورد في القرآن الكريم نحو قوله تعالى حكاية عن الكافرين في شعيب نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴿٨٧﴾﴾ (هود﴿ الآية 87).

فالقصد في هذا السّياق هو التقليل من شأن نبي الله شعيب عليه السلام لأنَّه كان ثابتا في صلاته، وهذا ما جعلهم يضحكون كل ما رأوه يصلي، والمقصود بسؤالهم ههنا هو التهكم لا الاستفهام.[1]

وفي موقف آخر: عندما ذهب سيدنا إبراهيم إلى المعبد خفية ليحطم الأصنام التي يعبدها قومه، فخاطبها متهكما.[2] بقوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴿٩١﴾﴾ (الصافات ﴿ الآية 91)

ومن خلال ما سبق ذكره نجد أنَّ التهكم من بين الدَّلالات التي يخرج إليها الاستفهام، وفي هذا المقام لا حرج في التطرق إلى تعريف التهكم مرَّة ثانية؛ فعرّفه "ابن الناظم" بقوله:« إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال استهزاء بالمخاطب» [3]

وقد تعددت صور الاستفهام التهكمي بأدوات مختلفة في ديوان "البدوي الأحمر"، وسنتطرق إلى عرض بعض منها من خلال نماذج متنوعة لها.

يقول "الماغوط" في واحدة من نصوص "البدوي الأحمر" الموسومة بـ: "فرز ألوان":

---

[1] ينظر: في البلاغة العربية علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2009، ط1، ص:104.

[2] ينظر: تفسير الكشاف، الزمخشري، تح: عادل أحمد عبد المجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض،1998، ط1، ج5، ص:217.

[3] المصباح في المعاني والبيان والبديع: ابن الناظم، ص:243.

« أي أبطال مغاوير...هؤلاء الّذين يشعلون النار بأنفسهم في الساحات والأماكن العامة للفت الأنظار إلى شجاعتهم» .[1]

وبعد تلقف القارئ لهذا المنجز الخطابي، سيتبين للوهلة الأولى أنَّ الملفوظ هو استفهام مباشر بدليل أداة الاستفهام (أي)، فأداة الاستفهام هنا تحمل قوة إنجازية حرفية، لكن عندما يدقق جيدا في هذا المنجز، ستبدأ مقاصد المخاطب شيئًا فشيئًا بالبروز للمخاطب، وهنا يكشف القارئ أنَّ هذا الاستفهام ليس القصد به التساؤل، وذلك لأنَّ المخاطب يملك الإجابة التامة، وإنما القصد به هو لفت انتباه القارئ والتأثير فيه، هنا أصبحت الصورة الحرفية للاستفهام لا تكفي للوصول لمقاصد المتكلم وذلك لأنَّ الأخبار الصريحة والمباشرة لا تؤثر في المخاطب ولا يتفاعل معها، ولهذا يعمد الشاعر لاستخدام مثل هذه الأساليب لشد انتباه القارئ والتأثير فيه، وفي هذا السياق يقول "عبد القاهر الجرجاني" في "دلائل الإعجاز": « واعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإنَّ الذي هو محض المعنى، أنَّه لينتبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع، ويعي بالجواب» [2]

فظاهر هذا الاستفهام كان المدح والتعظيم لعمل الجماعات الإرهابية، ووصفهم بـ الشجعان والأبطال المغاوير، لذلك فإنَّ القارئ الحاضر البديهة سرعان ما يكتشف أنَّ كلام الشاعر "الماغوط" ليس في محله ويثير الشك، وعليه فإنَّ المُخَاطبْ سيقوم بتأويل هذا الملفوظ على منحى بطولي مهما كان، وذلك لما يخلفه من حطام وخراب وزهق لأرواح الأبرياء الصغار منهم والكبار، لذلك فإنَّ وصف "الماغوط" لهم بهذه الصفات التي لا تليق بهم ولا بأعمالهم: كالأبطال والشجعان _ لا تتناسب والسياق الذي وردت فيه، فالمفارقة بين

[1] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص:70.

[2] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004، ط5، ص:114.

الكلام والواقع تضطر القارئ إلى التأويل، للكشف عما يُلَمِحُ له الشاعر، وهذا في فلسفة "غرايس" هو خروج عن قاعدة "الكيف" ومضمون هذه القاعدة يقول: "لا تقل ما تعتقد أنه كذب"، ونلاحظ أنَّ هذا الخروج لم يأتِ من فراغ أو من العدم، وإنَّما نتيجة تراكمات سيئة ومشينة خلفتها الأعمال الإرهابية في نفس الشاعر، لذلك نجد له ردة فعل عدوانية في هذا المنجز.

وهذا ما جعل الشاعر يعتمد على هذا النوع من الأساليب، لأنَّ أسلوب التهكم يقوم على أساس المفارقة، والتي يكون فيها الكلام شيئا والواقع شيئا آخر وهذه المفارقة تستفز المُخَاطَبْ وتدفعه للتأويل، ومن خلالها يصل إلى مراد المُخَاطِبْ ويفهم مقصده.

وفي نفس المقام يوضح "سيرل" العلاقة بين المعنى الحرفي والمعنى المقصود أو كيف يعبر المرسل عن القصد من خلال تقنيات من بينها التهكم، والتي يقوم المرسل من خلالها بإيصال مقاصده بطريقة عكسية، ويعني فيها المرسل عكس ما يتلفظ به، وهنا يتوصل إلى المعنى المقصود عبر المعنى الحرفي، وعليه يكون معنى الملفوظ، هو المعنى المعاكس للجملة.[1]

وما نخلص إليه أن "الماغوط" أراد إثبات جُرم ولا إنسانية هذه الفئة من صغار العقول والمندفعين لمثل هذه الأعمال المُشينة التي تدل على جهلهم للدين وارتكابهم لمجازر في حق الأبرياء الذين لا حول لهم ولا قوة، لكن إثبات الماغوط كان بطريقة عكسية ملفتة ومنبهة للقارئ، استخدم فيها الاستفهام على هذه الشاكلة لإقناع المُخَاطَبْ، وذلك باستعمال أداة الاستفهام (أي)، فضعف المعنى الصريح في هذا السياق، أدى إلى خروجه لمعنى آخر

[1] ينظر: استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، عبد الهادي بن ضافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004، ط1، ص:383.

مستلزم، استدعاه السياق، وبهذا الخروج تبرز ملامح التداولية من خلال إحدى وظائفها التي تتمثل في الإقناع. وبما أنَّ الدلالة المستلزمة التي استنتجناها من المنجز الخطابي "أي أبطال مغاوير..."لا تتماشى والسياق الذي وردت فيه، هنا يخرج المعنى من تعظيمي إلى معنى معاكس تماما، وهو المعنى المقصود هنا، وهو التهكم بهذه الجماعات وبأعمالها التي لا تحرر أرضًا ولا تنصر دينًا إنَّما تزهق أرواحًا وتشوه عقيدة، وهنا تقع جمالية التهكم في المفارقة التي تستفز المتلقي للتأويل والتفاعل.

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

المخطط 01: التحليل التداولي لمثال الاستفهام التهكمي السابق.

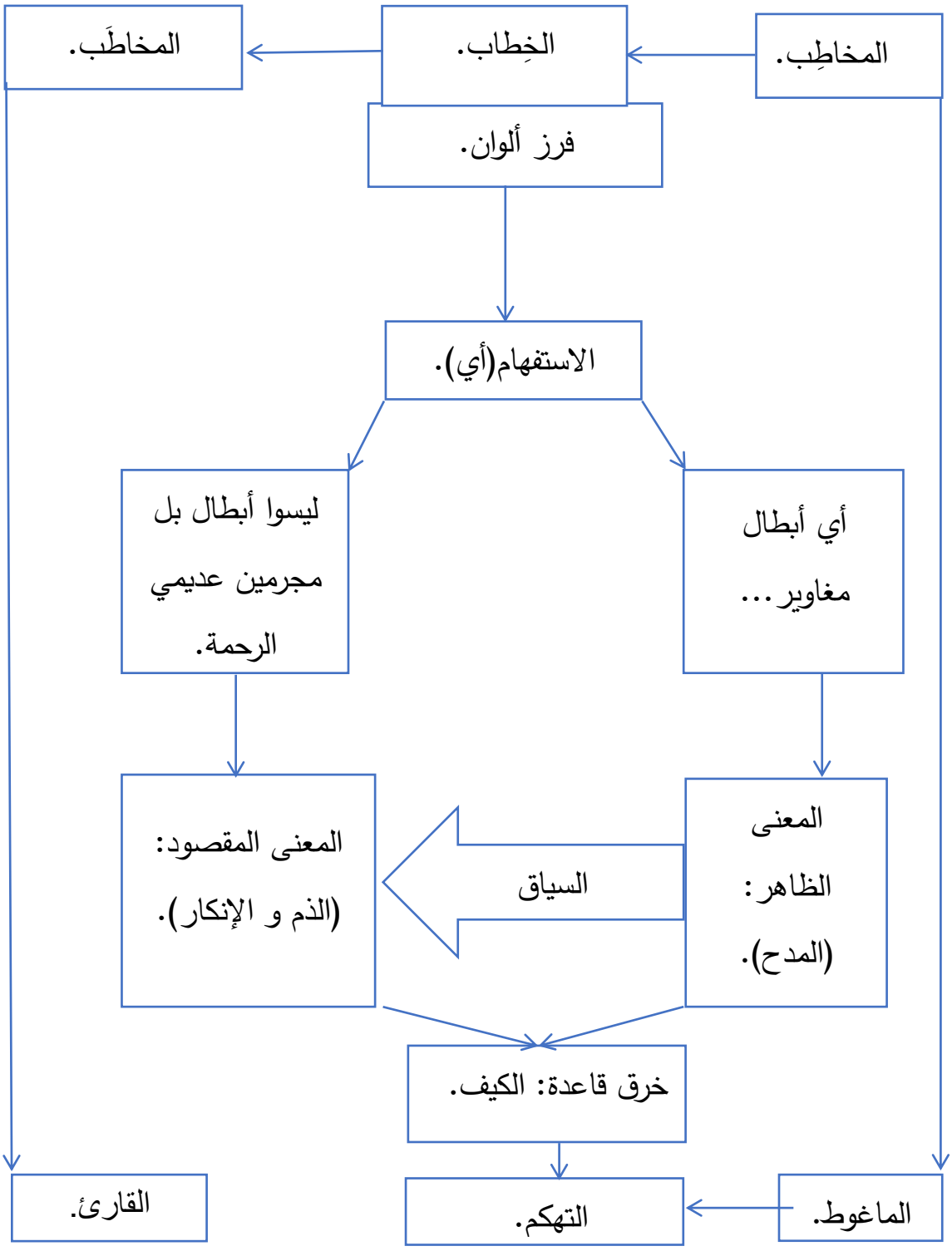

وفي سياق الاستفهام التهكمي نقف عند نموذج آخر استعمل فيه "الماغوط" استراتيجية التهكم من أجل إيصال فكرة ما للقارئ، ويقول الشاعر في قصيدة "البهلوان":

هذا الشرق البدين المنتفخ

لماذا ينحني كل هذا الانحناء؟

ماذا يريد أن يلتقط؟

تفاحة؟

وردة؟ [1]

وبأسلوب التهكم يحاول "الماغوط" أن يستفهم عن حالة الاستكانة التي هي عليها الشعوب العربية وذلك في قوله: "هذا الشرق البدين المنتفخ" وذلك للدلالة على جمود الشعوب وبقائها في نفس الحلقة المفرغة منذ استقلالها فهي لم تغير شيئًا، على كافة الأصعدة منها: السياسية والاجتماعية، فالشعوب اليوم تحتفظ بنفس شخصية الأمس نفس شخصية الاستعمار، خوف وخضوع، وذل.

وما نلاحظه في هذا المنجز القولي هو أنَّ الشاعر استعمل أداة الاستفهام (لماذا)، التي وضعها في الأصل للاستفهام عن (حالة الشرق) من المخاطَب، لكن هذا الاستفهام ليس له أي معنى لأنَّ الإجابة معلومة عند كلى الطرفين _المخاطِب والمخَاطب_ وهذا ما يجعله يخرج عن معناه الأصلي؛ المتمثل في إنشاء الاستفهام، إلى معنى مستلزم من سياق الخطاب، وهو رفض الشاعر خضوع الشعوب لحكامها والسكوت على كل أشكال الظلم والقمع وغيرها من الانتهاكات في حقهم، وهم في غفلة من أمرهم.

[1] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص: 196.

وهنا نجد أنَّ الشاعر استخدم الاستفهام للفت انتباه المخَاطب (القارئ العربي) بأنَّه قد آن الأوان لنفض الغبار عن هذه الأمة وهذه الشعوب الغافلة، وأن يثوروا على كل من تسول له نفسه أن يعبث مع الشعوب الواعية، وأن يقرروا مصيرهم بأنفسهم واستغنائهم عن خطابات حكامهم الرنانة ووعودهم الكاذبة.

وعليه يمكننا أن نقول أنَّ خروج هذا الاستفهام من دلالته الأصلية، إلى دلالة أخرى يستلزمها السياق، هو من مهام التداولية، وذلك من خلال إقناع المخاطب برفض حالة الخضوع التي هي عليها الأمة العربية.[1]

كما يمكن القول والإقرار بأنَّ هذا الاستفهام لا يخرج لغرض الإنكار فقط وإنَّما لغرض آخر أيضا، مخفي في ثنايا هذا الملفوظ ألا وهو التهكم، وذلك في قوله: ماذا يريد أن يلتقط؟ تفاحة؟ وردة؟ فإذا أمعنا النظر جيدا في هذا الملفوظ نجد أنَّ استعماله لا يتماشى مع السياق الذي ورد فيه، وكأنه يقول لهم إنَّ الانحناء لا يكون إلاَّ للأشياء الجميلة كالتفاح والورد، أما أنتم فتنحنون ذلاً وطواعية لجلاديكم، فملفوظ "التفاحة" و"الوردة" يدل ظاهريًا على أنَّ المعنى الحرفي للمنجز جميل لكن ما يلمح له الشاعر بهاذين الملفوظين في قمة البشاعة ويدل على الاستهزاء والتهكم.

وخلاصة القول وموجز الكلم أنَّ الشاعر في هذا المنجز قام بخرق قاعدة من قواعد مبدأ التعاون، وهي قاعدة الكيف، وذلك من خلال مخالفة كلامه للواقع فظاهر كلامه كان شيئا جميلا لكن قصده عكس ذلك وباستراتيجية التضاد هذه، يمنح "الماغوط" للمتلقي حق الوصول إلى قصده وهو التهكم والاستهزاء بالشعوب العربية.

[1] ينظر: أسلوب التهكم في عيون البصائر للبشير الابراهيمي دراسة تداولية، عبد الحكيم خرشوش، ص: 86

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

المخطط02: التحليل التداولي لمثال الاستفهام التهكمي السابق.

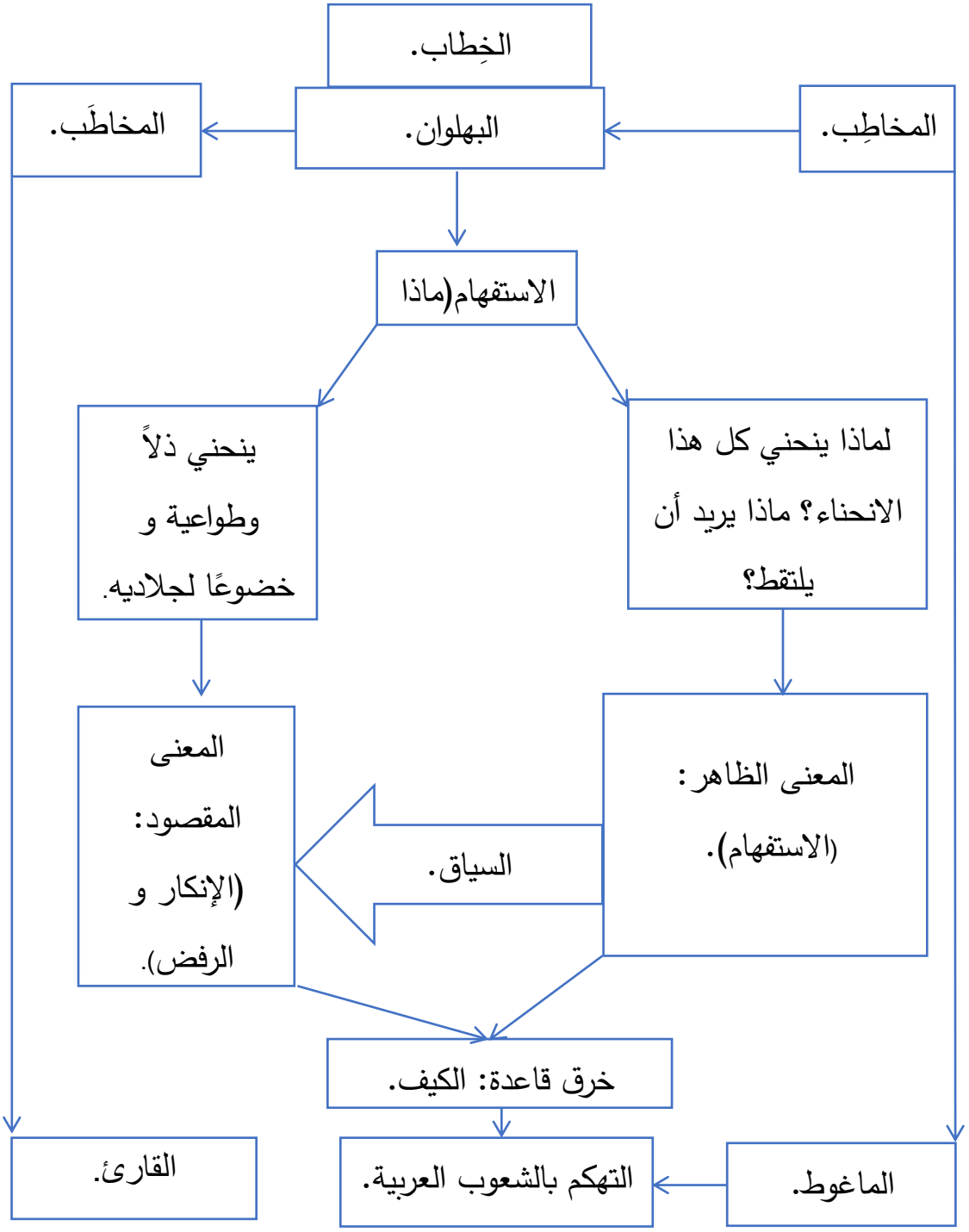

وفي مقام آخر استعمل "الماغوط" الاستفهام بغرض التهكم وذلك في قصيدة: "نشيد الأمل":

ثمة كوابيس وأطلال وغربان تغطي جبيني

أية أحلام سعيدة ستكون على وسادتي؟ [1]

فنلاحظ أنَّ الشاعر بدأ هذا المنجز الخطابي بأداة الاستفهام (أيّ)، وهذا يعني أنَّها تحمل قوة إنجازية حرفية، تتمثل في طلب الفهم، لكن إذا تفحصنا هذا القول نجد أنَّ الشاعر لا يحتاج إلى إجابة المتلقي، وإنَّما لشد انتباهه والتأثير فيه، وبهذا يكون الملفوظ قد خرج عن معناه الأصلي لأنَّه ليس استفهاما حقيقيا، وهنا يجب على القارئ أن يؤول ليكشف عن قصد الشاعر.[2]

لنعود إلى ما قبل الاستفهام قال: "ثمة كوابيس وأطلال وغربان تغطي جبيني" وكل هذه الألفاظ تدل على الشؤم والألم، ثم بعدها يُقدم لنا تساؤله: "أية أحلام سعيدة ستكون على وسادتي؟" فهنا الشاعر وكأنه يناقض نفسه، لكن المتلقي لا يستوعب فكرة أنَّ الشاعر قصده بلفظ "أحلام سعيدة" هو التفاؤل وإنَّما له قصد آخر يخفيه خلف هذه البنية الاستفهامية، وغايته من هذا التناقض هو إقناع المتلقي وتبليغه، بالخراب الذي يجري في وطنه وحجم المعاناة التي يعيش فيها هذا الوطن، والتي يعاني منها مجتمعه، من فقر وجوع وتشرد وسجن وغربة...، ورغم كل هذا الحطام والخيبات يقول "الماغوط" "أية أحلام سعيدة ستكون على وسادتي؟" فكيف لإنسان عاش هذه الأحداث والمواقف الصعبة والحزينة أن ينتظر أحلاما

---

[1] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص107.

[2] ينظر: أسلوب التهكم في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي دراسة تداولية، عبد الحكيم خرشوش، ص: 83.

سعيدة في منامه، وكأنَّ "الماغوط" يسخر من آلامه وآلام ومعاناة المشردين أمثاله في هذا الوطن.

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح لنا أنَّ هذا الاستفهام خرج لمعنى آخر مستلزم، ألا وهو (الاستبعاد والاستحالة)، فهو يستبعد تماما أن تكون هناك أحلام جميلة وسعيدة بانتظاره، وأنَّ أحلامه مهما كانت يستحيل أن تتحقق على أرض الواقع بل ستبقى حبيسة وسادته، وغرض الشاعر من استعمال ملفوظ "أحلام سعيدة"، هو للاستهزاء والتهكم حتى بأحلامه، لأنَّ استعمال ذلك الملفوظ لا يتفق مع سياق الشؤم الذي ورد فيه، وهنا يتضح دور السياق بعد التحليل في تحديد قصد المتكلم، ودفع المتلقي للتأويل والاكتشاف«إنَّ محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب[...]، لأنَّه يؤدي دورًا فعالاً في تأويل الخطاب » [1] إذا السياق هو الذي يكشف عن ملامح الملفوظ الحقيقية التي تختفي وراء الدلالة الطبيعية للجملة.

وإذا قاربنا هذا الاستفهام بما وضعه "غرايس" من مبادئ للتحاور وتبادل المعلومات، نجده قد خرق قاعدة(الكيف)، والتي مفادها أن يكون المخاطب صادقًا ويتجنب الكذب أو ما يعتقد أنَّه كذب، لذلك فإن الماغوط يستعمل تقنيته.

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

[1] لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب": محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1991، ط1، ص: 52.

المخطط 03: التحليل التداولي لمثال الاستفهام التهكمي السابق.

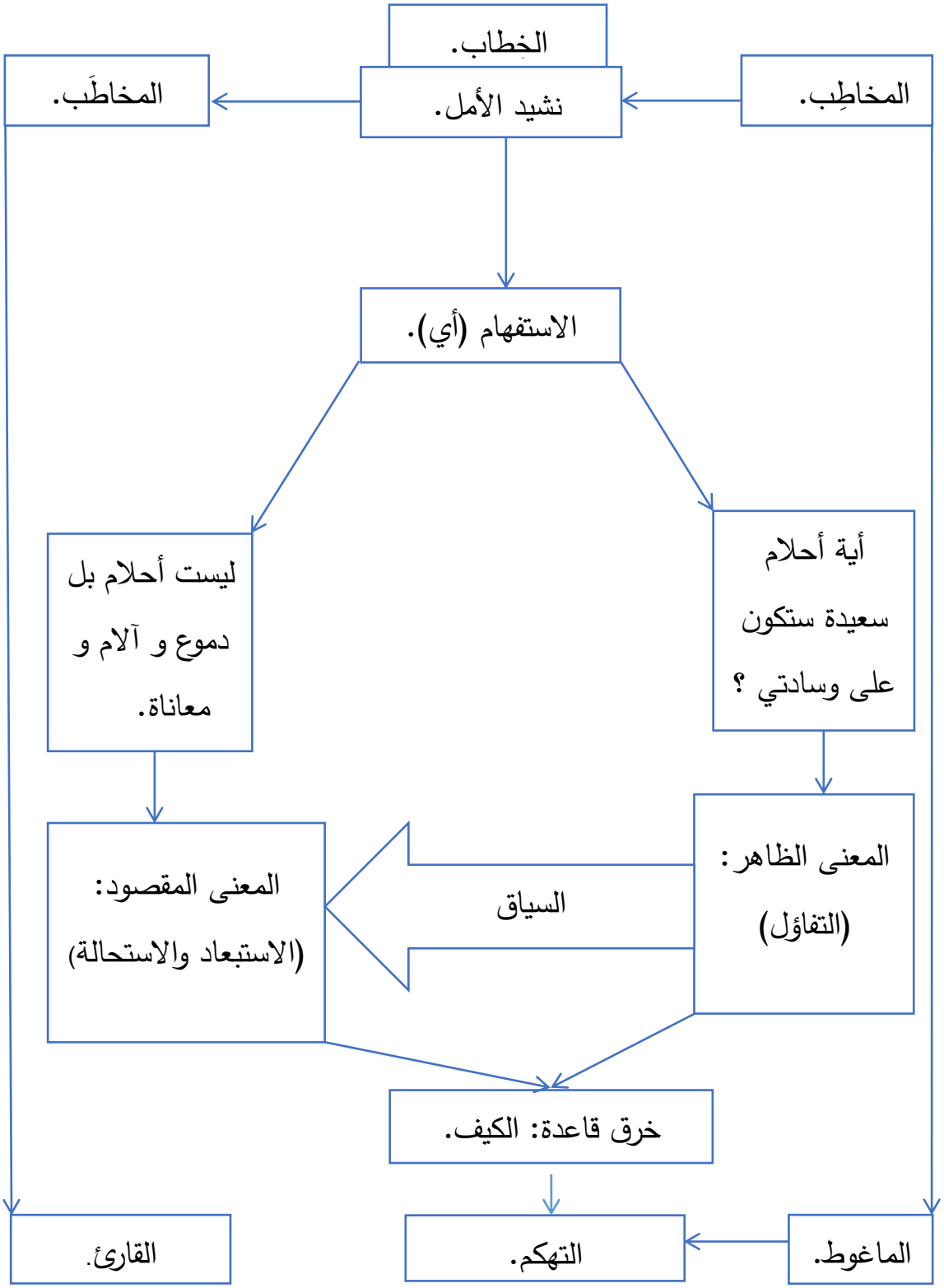

2. التحليل التداولي للنداء التهكمي:

النداء من أكثر الأساليب التي استخدمها "الماغوط" في نصوصه وذلك للتعبير عن الحالة المأساوية التي يعيشها هو والمشردين أمثاله في مختلف أنحاء المعمورة.

والنداء هو خطاب يوجهه المنادى للمنادي، وذلك بواسطة حروف مخصوصة، بغية لفت انتباه المنادى.[1]

وبما أنَّ كل أسلوب إنشائي يختص بمجموعة من الحروف، اختص النداء أيضًا بحروف تدل عليه وهي ثمانية: (الهمزة وأي) وخصها العلماء بالنداء القريب، فيما خصص العلماء بقية الحروف للنداء البعيد: (يا، آ، أيا، هيا، ووا، آي).[2]

وغالبًا ما تخرج هذه الأدوات عن معناها الأصلي الذي وضعت له، لتفيد معانٍ أخرى تفهم من سياق الكلام، محققة بذلك غرضًا بلاغيًا، ولا يكتشف ذلك إلاَّ كل من غاص في أعماق البلاغة.[3]

ومن أهم الأغراض البلاغية التي يخلص إليها أسلوب النداء نجد:

التحسر، التهكم، التعجب، الاختصاص، الاستغاثة، التحقير، وغيرها من الأغراض.[4]

---

[1] ينظر: في البلاغة العربية علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص: 114.

[2] ينظر: بلاغة التراكيب "دراسة في علم المعاني"، توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د. ت)، (د. ط)، ص:213.

[3] ينظر: البلاغة في ثوبها الجديد "علم المعاني"، بكري شيح أمين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999، ط6، ج1، ص:106_107.

[4] ينظر: بلاغة التراكيب "دراسة في علم المعاني"، توفيق الفيل، ص:215_216_217.

فوجود النداء في هذه النصوص بكثرة لم يأت عبثًا أو صدفة وإنَّما جاء لحاجة ضرورية هي في نفس الشاعر لم يجد كيف يعبر عنها، فأخرجها على شكل أسلوب نداء ولكن ليس للاستنجاد أو الاستغاثة وإنما القصد منه هو التهكم والاستهزاء، وفي هذا العنصر سنحاول الوقوف على عدة نماذج لأسلوب النداء جاءت لأغراض مختلفة، لكن تبقى نبرة التهكم واضحة في قلم الشاعر، محاولين في ذلك الكشف عن غاية الشاعر من توظيفه.

وفي قصيدته الموسومة ب: "درع بين قوسين" يضع "الماغوط" بين أيدينا لوحة شعرية صوّر فيها الكثير من المعاناة مستخدمًا أسلوب النداء في قوله:

أيها الحزن اليهودي المقيم

أما من مفاجأة للأطفال! [1]

هنا يخاطب الشاعر الظلم اليهودي متعجبًا منه "أما من مفاجأة للأطفال!" ومن منا لا يعرف قصة اليهود مع الأطفال فالجاهل بهذه القصة سيعتقد أنَّ اليهود هم من رفعوا شعار الطفولة ووضعوا لها عيدًا، وذلك من خلال هذا الملفوظ.

فالشاعر هنا بدأ خطابه بأداة النداء (أي) التي وضعت للنداء القريب، والتي لم يكن لها أي دور؛ لأنَّ قصده هنا ليس الطلب وإنما خرج لغرض آخر، نفهمه من سياق الكلام، فالخلفيات الثقافية والسياسية والاجتماعية للمتلقي، ستجعله حتمًا يفهم قصد المتكلم، وذلك لأنَّ اليهود لم يكونوا يومًا أصدقاء للطفولة ولم يقدموا لها سوى الألم، والمعاناة، والتشرد، والحرمان، فالطفل في ظل الاحتلال اليهودي، يكبر في اليوم(60) سنة وذلك لمعاملة اليهود لهم بقسوة

[1] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص: 85.

من خلال أسرهم في السجون، وتعذيبهم بشتى الطرق وقتل ذويهم وغيرها، من المعاناة اليومية.

وعليه نلاحظ أنَّ أداة النداء بصورتها الصريحة كانت ضعيفة في هذا المقام، وهذا ما استدعى دلالة أخرى مستلزمة تتناسب مع سياق الكلام، "مفاجأة للأطفال!" أقحمه الشاعر في هذا النداء لغرض التهكم والاستهزاء باليهود أعداء الطفولة، ولفت انتباه القارئ.

وعليه نستنتج أنَّ الشاعر تعمَّد هذه المفارقة وذلك من أجل تحقير الاحتلال اليهودي وتقزيمه، وبهذا يكون المخاطب قد خرج عن مقولة: (الكيف) التي تنضوي تحت مبدأ التعاون، وذلك بقوله ما هو كذب.

فالشاعر هنا وضع النداء موضع التعجب وهذا ما أخرجه من دلالته الأصلية إلى دلالة مستلزمة، ليفصح بذلك عن انفعال مكنون داخله.[1]

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

[1] ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية(ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجًا)، كادة ليلى، ص: 292.

المخطط04: التحليل التداولي لمثال النداء التهكمي السابق.

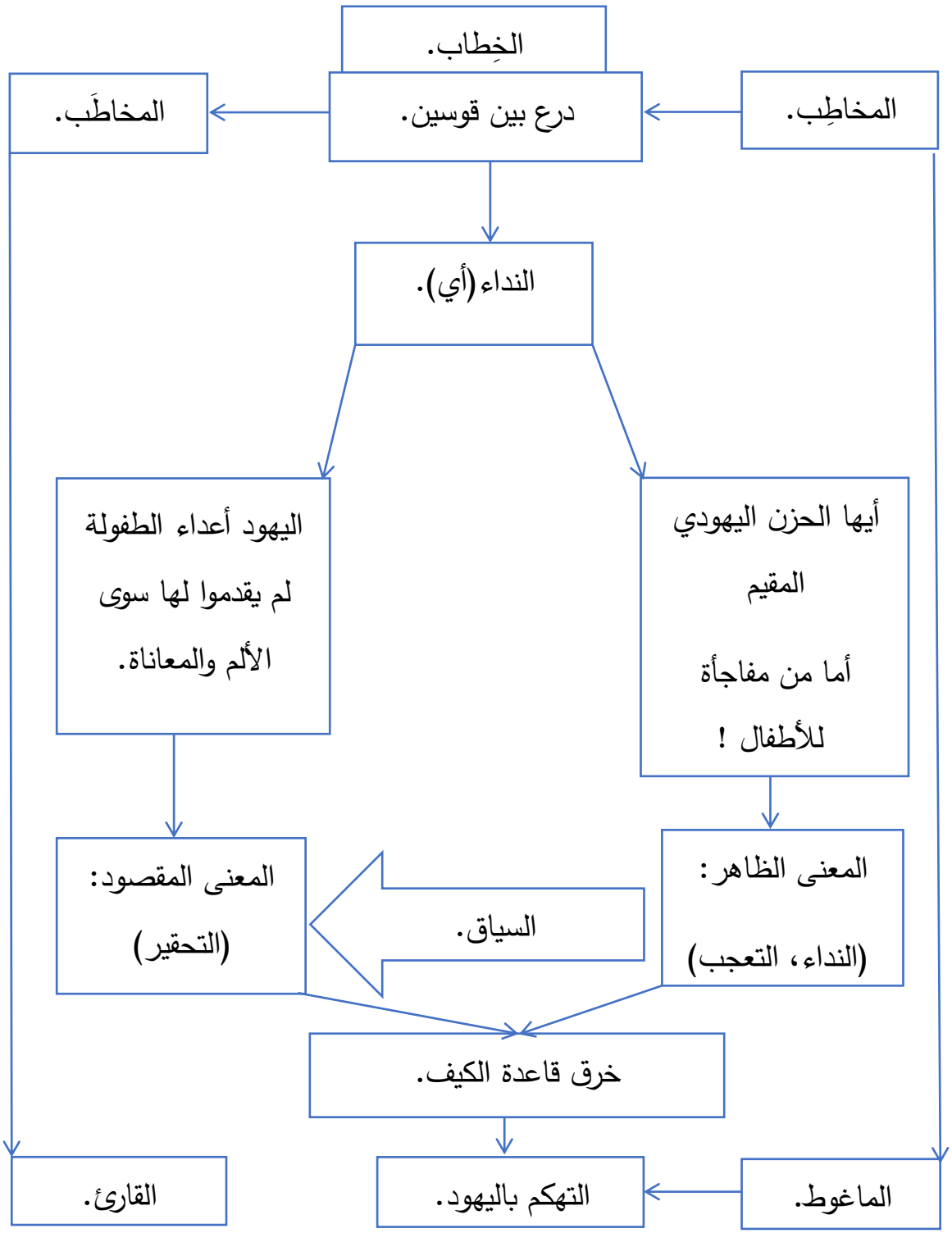

وفي مثال آخر لأسلوب النداء يقول "الماغوط" في قصيدته الموسومة ب: "البدوي الأحمر" وتحديدًا المقطع(34)

يا إلهي...

أعطني فرصة

لأسرق

لأرتشي

لَّأخطئ

لأغش[1]

استهل خطابه بأداة النداء(يا) والتي وضعت للنداء البعيد، داعيًا الله سبحانه وتعالى ليمنحه فرصة "ليسرق، ويرتشي، ويخطئ" ، ودعاء الشاعر هذا، يضع المتلقي في حيرة من أمره، لأنَّ هذا الدعاء ملفت للانتباه، وهو ما يدفع القارئ للتأويل، وربط هذا المنجز القولي بظروف الشاعر، لأنَّ الذي يعرف "الماغوط" جيدًا سيكتشف حجم المعاناة التي عاشها والقسوة التي تلقاها رغم مكانته الثقافية والاجتماعية.

نلاحظ هنا أنَّ أداة النداء(يا) بل عملها، لأنَّها خرجت من معناها الصريح وهو النداء والدعاء إلى معنى آخر استلزمه السياق وذلك بتوظيف الشاعر ألفاظ لا تتناسب مع السياق مثل: (أسرق أرتشي وغيرها) إنَّما أقحمها الشاعر لِلَوْمِ وتوبيخ السلطة التي أصبحت تعطي الحرية والحقوق الكاملة لأشخاص نهبوا ثروات هذه البلاد وخانوا أوطانهم، أما "الماغوط"

[1] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص: 189.

ذلك الشاعر والأديب كان المدان في كل مرَّة نتيجة أشعاره، وهذا ما دفعه أن يطلب من الله إعطائه فرصة ليفعل مثل هؤلاء علَّه يحظى ولو بقليل من الحرية.

وسبب استعمال "الماغوط" لكل هذه الألفاظ الهابطة هو لغرض الاستهزاء والتهكم بالسلطة الظالمة التي لم تعطه أبسط حقوقه رغم أنَّه الشاعر والأديب فيقول في ذات السياق:

إنَّ شعبي لا يستحق كل هذه الرفاهية المفرطة

الكل يسرق

ويكذب

وينهب

وتفتح له الأبواب على مصاريعها

وأنام وأصحو

في زنزانتي الشعرية

والدموع تغطي ركبتي [1]

فغياب العدل في هذه الأمة هو ما جعل "الماغوط" ينظم مثل هذه الكلمات.

وخلاصة القول هو أنَّ "الماغوط" أراد أن يتهجم على السلطة الحاكمة للبلاد وذلك عن طريق النداء لكن المعنى الحرفي للنداء لم يجدِ نفعًا، لوجود ألفاظًا لا تتماشى مع السياق الذي وردت فيه وهذا ما جعل النداء يخرج إلى معنى آخر مستلزم وهو اللوم والتوبيخ.

[1] المصدر السابق: ص189.

وهذا ما سجل خروجًا عن إحدى مقولات مبدأ التعاون، ألا وهي مقولة (الكيف)، لأنَّ قصد الشاعر هنا ليس الدعاء بل اللَّوم، وبأسلوب المفارقة والتهكم هذا يحاول لفت انتباه القارئ والتأثير فيه ودفعه للتأويل للوصول إلى قصد الشاعر من توظيف هذا النداء، وهنا نجد معالم التداولية واضحة جدًا وذلك من خلال وظيفتها في لفت الانتباه والإقناع والتأثير و كذلك الخروج والانتقال من الدلالة الطبيعية إلى الدلالة غير الطبيعية، والتي تنضوي تحت نظرية الاستلزام التخاطبي التي جاء بها "جرايس"، الذي« كانت عنايته بالغة بتحليل المعنى اللغوي في حدود نوع خاص من القصد الاتصالي Intentioncimmumicative[1] » وهذه النظرية صنفت كأهم نظرية بعد نظرية الأفعال الكلامية في التحليل التداولي.

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

[1] المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية (ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجًا): ليلى كادة، ص:99

المخطط05: التحليل التداولي لمثال النداء التهكمي السابق.

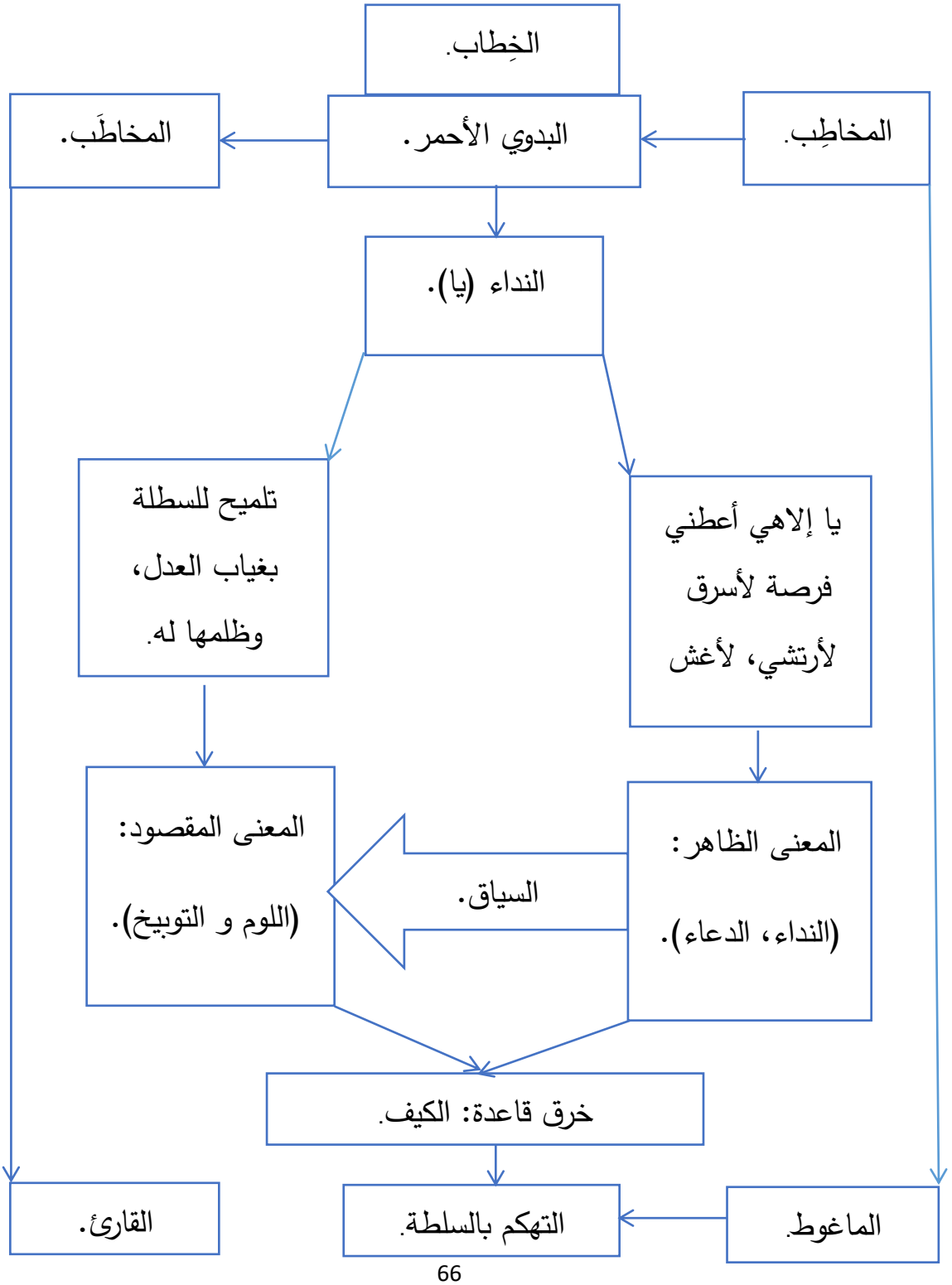

وفي موضع آخر يقول "الماغوط" في قصيدته "خطبة الجمعة أو مراسم الدفن"

أيها الجمهور الكريم هل سمعتم أجمل من إلقائي[1]

وفي هذه اللوحة الشعرية يرسم لنا "الماغوط" واحدة من أهم صور معاناة المواطن وذلك من خلال الخطابات البراقة والوهمية للسياسيين ورجال السلطة.

وقد بدأ "الماغوط" خطابه بأداة النداء(أي) مخاطبا جمهوره، وهذا في صورة الملفوظ الطبيعية الصريحة، لكن الظاهر من هذا المنجز أنَّ "الماغوط" كعادته لا يقصد نداءً وإنما قصد شيئا آخر، وهو كيفية امتداح الخطباء لأنفسهم وتحدثهم عن أتفه الأمور دون التطرق إلى أساسيات الحياة وانشغالات المواطنين أو تسليط الضوء على معانتهم اليومية ومحاولة إيجاد الحلول لها.

هنا يحاول "الماغوط" متهكمًا فضح هؤلاء الخطباء مُلمحًا بذلك عن كونهم مجرد أدوات إعلامية تستخدم من طرف جهات عليا لإخفاء عيوبهم.

وهنا نلاحظ أنَّ أداة النداء بالإضافة إلى أداة الاستفهام (هل) عملها ضعيف، لأن المتلقي سرعان ما يكتشف أنَّ الشاعر لم يضعهما من أجل الطلب، وذلك بسب خروجها إلى معان مستلزمة تتفق والسياق الذي وردت فيه، ألا وهي الحسرة والإنكار، فبهذا الأسلوب يعبر الشاعر عن حسرته على الشعب المضطهد من طرف سياسيين ينتمون لوطنه، ويعبرون كذبا عن ولائهم لشعبهم، كما يستنكر بأسلوب الاستفهام التهكمي عمل هؤلاء السياسيين في هذا الشعب المستضعف.

[1] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص: 222.

وعليه نستنتج أنَّ "الماغوط" استخدم النداء لغرض واحد ألا وهو التهكم والاستهزاء برجال الدولة والسلطة لجبنهم وفشلهم في التسيير، وذلك من أجل إقناع المتلقي والتأثير فيه، عن طريق الدلالات المضمرة التي يكشفها لنا السياق الكلامي، وهنا نلاحظ خرق الشاعر لقاعدة الكيف عن طريق تقنية المفارقة الكلامية للواقع.

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الاتي:

المخطط06: التحليل التداولي لمثال النداء التهكمي السابق.

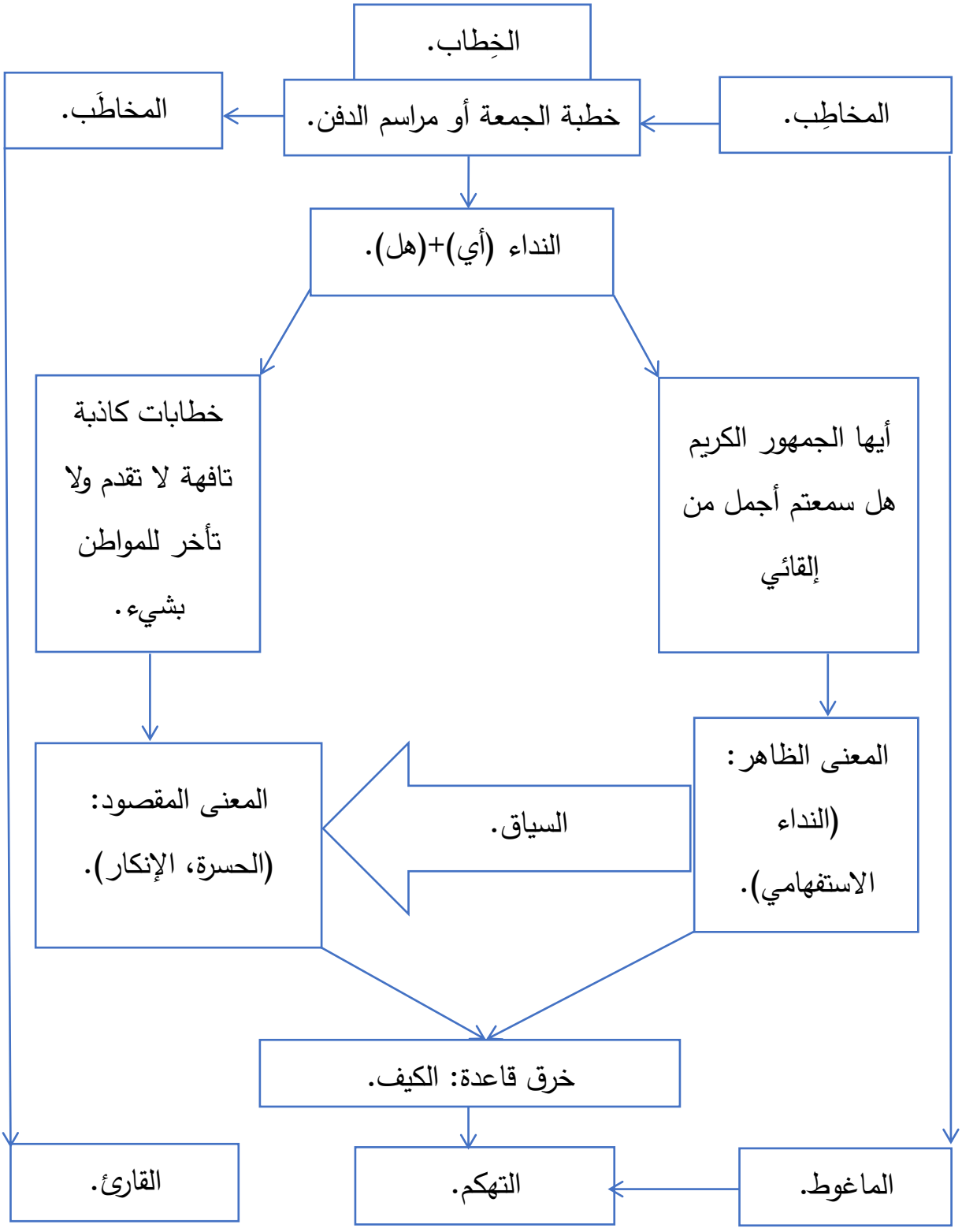

وفي قصيدة "البدوي الأحمر" يخاطب "الماغوط" حزنه متهكمًا بقوله:

أيها الحزن يا حبي الأول والأخير

لقد نفذ كل ما عندي ومن حولي

من خمر

وتبغ

وخبز

وأغطية[1]

استهل "الماغوط" خطابه بأداة النداء (أي) وذلك لقرب مكانة المنادى لقلبه، أعقبها بأداة النداء (يا) ولفظة (حبي)، فالماغوط يتغنى بحزنه، وذلك بشكل ملفت للانتباه، هذا ما يدفع القارئ إلى التحليل والتأويل والبحث في ما وراء هذا المنجز الحرفي، وذلك بغية الوصول إلى قصد الشاعر وفهمه من خلال المعاني المضمرة التي يلمح لها الشاعر؛ لأن لفظة (حبي) وردت في سياق غير مناسب لها، والكل يعلم معاناة الشاعر وألمه وغربته في سجنه وعذابه من طرف جلاديه وتشرده في الغابات وعلى أرصفة الطرقات ، كل هذه المظاهر المأساوية جعلت "الماغوط" يتبنى الحزن كالطفل الذي يحتاج إلى رعاية وأغطية تقيه برد الشتاء وغير، فالماغوط لم يستخدم أداة النداء (أي) للطلب بل استخدمها لغرض التهكم والسخرية من الحال التي أصبح عليها.

[1] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص: 151.

نعم، الماغوط من الذين يسخرون حتَّى من أحزانهم وحالهم المأساوي وذلك نتيجة جرعة الخيبات والآلام الزائدة تدفعهم للسخرية وهم في أتعس الظروف وذلك لحاجة في أنفسهم.

ومن كل هذا نستنتج أنَّ الصورة الحرفية للنداء لم تقنع المتلقي كدلالة صريحة، وذلك بسب وجود ملفوظات لا تتناسب مع السياق الذي وردت فيه (يا حبي الاوَّل والأخير، لقد نفد كل ما عندي)، نجدها تخرج إلى معنى مستلزم استدعاه السياق، ألا وهو الحسرة على حاله التي نال منها الحزن ولم يترك له شيء، الشاعر بهذه الملفوظات وصل حد التفاهة، وكل ذلك من أجل لفت انتباه المتلقي.

وفي هذا المقام أيضًا يخرج الماغوط عن قاعدة (الكيف) التي تنضوي تحت مبدأ التعاون "غرايس".

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

المخطط07: التحليل التداولي لمثال النداء التهكمي السابق.

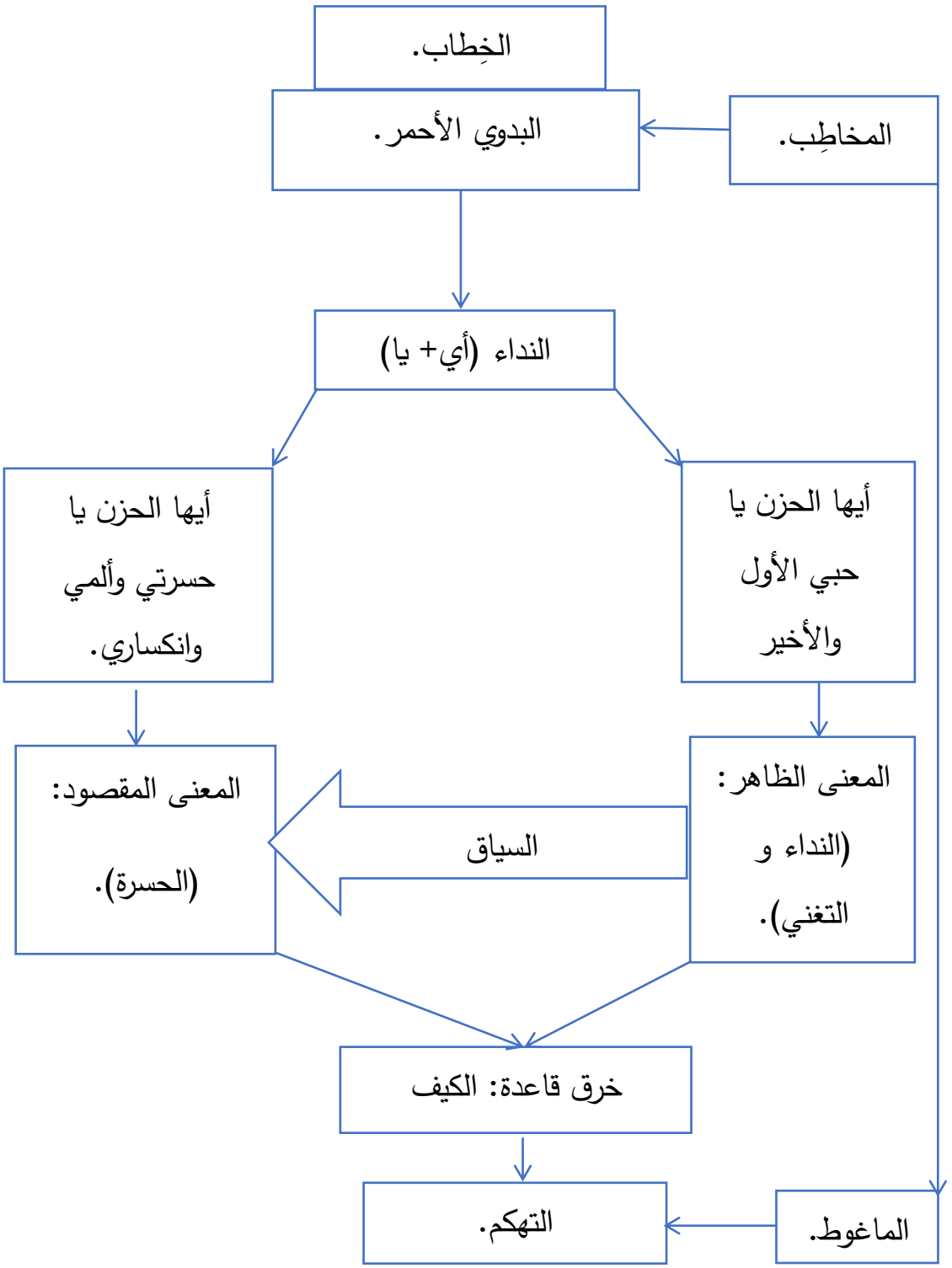

3. التحليل التداولي للأمر التهكمي:

الأمر من الأساليب الإنشائية الطلبية الأكثر استعمالاً في الخطابات، والأكثر تأثيرًا في المخاطب، كما أنَّ "الماغوط" في هذه النصوص استعمل أسلوب الأمر للتعبير عما في داخله وتوصيل وجهة نظره بنبرة أكثر حدة من الأساليب السابقة.

والأمر في أبسط تعريف له هو« طلب الفعل على وجه الاستعلاء» [1] وكما خصَّ العلماء الأساليب الإنشائية السابقة بأدوات وقرائن تدل عليها، خصوا أيضًا أسلوب الأمر بصيغ تثبته وتدل عليه، وهي: فعل الأمر، والمضارع المجزوم بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر.[2]

وصيغ الأمر أيضا كسابقاتها من أدوات الأساليب السابقة، إذا استعملناها خارج مقامها الأصلي فهي تخرج إلى معان أخرى يستدعيها السياق الكلامي، ومن بين المعاني التي تخرج إليها صيغ الأمر نجد: التهديد، والتعجيز، والإهانة وغيرها.

ولكي يكون الأمر أمرا، تشترط فيه مجموعة من الشروط هي:[3]

- **شرط الاستعلاء:** وهو أن يكون الآمر أعلى درجة من المأمور مثل:

قول الأستاذ لتلميذه: "اجلس مكانك".

---

[1] البلاغة فنونها وأفنانها "علم المعاني": فضل حسن عباس، ص: 145.

[2] ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق: يوسف السميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د. س)، (د. ط)، ص:71.

[3] ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011، ط1، ص:36.

- **مطلوب غير حاصل:** وهو أن يقوم المأمور بفعل لم يكن حاصلا في تلك اللحظة مثل قول الأستاذ للتلميذ: "افتح النافذة"، وهذا يعني أنَّ النافذة كانت مغلقة، فالمطلوب هنا لم يكن حاصل.
- **طلب ممكن الحصول:** وهو أن تكون للمأمور إمكانية للقيام بذلك الفعل.
- **طلب الحصول في الخارج.**

ومحصول ما سبق ذكره هو أنَّ الأمر يكون حقيقيا بتوفر الشروط التي تم ذكرها، وغياب أحد هذه الشروط يجعل الأمر غير حقيقي، وهذا ما يُخْرِجُ الأمر من معناه الأصلي كأمر، إلى معنى آخر يستدعيه المقام، وهذا يشبه تماما ما قام به "غرايس" في مبدأ التعاون الذي قدم فيه مجموعة من القواعد ويعتبر أي خرق لقاعدة من هذه القواعد، هو خروج الكلام من معناه الأصلي إلى معنى آخر مستلزم مناسب للسياق الكلامي.

والتهكم أيضًا من بين الأغراض التي يخرج إليها الأمر، وهذا نجده بكثرة في الخطاب القرآني، نحو قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴿٢١﴾﴾ (آل عمران﴿ الآية 21) ففي هذا الخطاب نبرة التهكم واضحة، وذلك من خلال لفظة (فَبَشِّرْهُمْ)، فالبشارة لا تكون إلاَّ للشيء المحمود والعمل الصالح، وفي هذا السياق نتيجة لأعمال الكفار وكفرهم وافترائهم على الأنبياء وشركهم بالله سبحانه وتعالى بشرهم بالمكان المناسب لهم، وفي هذا المقام خرجت دلالة الأمر من معناها الأصلي إلى معنى آخر استدعاه السياق وذلك بوجود قرينة دلَّت عليه وهي لفظة (بشرهم).[1]

ولقد وردت مواضع الأمر التهكمي في نصوص البدوي الأحمر بصورة مكثفة وذلك لحاجات كثيرة في نفس الشاعر أراد توصيلها للقارئ عن طريق المفارقة الكلامية للواقع.

[1] ينظر: أسلوب التهكم في القرآن الكريم« دراسة تحليلية بيانية» ، أحمد ذياب عنانزة،ص:77.

ومن أمثلة ذلك نجد في قصيدة: "إخوان الصّفا" أكثر من موضع تهكمي لأسلوب الأمر في قوله:

أيها الوطن سريع الطلقات

والكاتم الأنفاس...

سدد بإحكام

خذني على محمل الجد ولو مرة في العمر

كشاعر

كقارئ

كمطرب[1]

ونجد في هذا المنجز الخطابي نبرة انكسار وحرقة في نفس الشاعر وذلك من خلال استعماله لفعل الأمر "سدد" فهو أراد بهذا الفعل أن يعبر عن خيباته وخيبات أمثاله من الأدباء والعلماء الذين لم يجدوا أي قيمة في أوطانهم على عكس المجرمين والخونة الذين يتمتعون بكامل حريتهم وينعمون بحقوقهم الكاملة، فالمتلقي في هذا المقام سريعًا ما سيكتشف أنَّ هذا الفعل ليس للأمر وأنَّ هذا الخطاب موجه للحكام وليس لتلك القطعة الجغرافية، فهو بنبرة تهكم صريحة أراد أن يوصل صوته وأصوات المضطهدين أمثاله.

[1] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص: 279.

وهنا امتنع إجراء فعل الأمر وهو طلب التغيير؛ لأنَّه وضع لغير معناه الأصلي، وإنَّما وضع لغرض آخر بغية تنبيه المتلقي الأوَّل لهذا الخطاب (القارئ) بأفعال القائمين على الأوطان باسم السلطة والمتكفلين بشعوبها.

وما نلاحظه هو أنَّ هذا الخطاب يحمل قوَّة إنجازية حرفية وهي الطلب لكن عند ربطها بالسياق الذي وردت فيه نجدها لا تتماشى معه، وهذا ما يستدعي قوة إنجازية مستلزمة، لأنَّ مقاصد الشاعر مضمرة.

فالفعل الساخر لا يمكن إجراؤه إلاَّ عن طريق المعاني المضمرة، ويشترط في القارئ التمييز بين المعاني الصريحة والمعاني المضمرة التي يستدعيها السياق وذلك للوصول إلى مقاصد المتكلم.[1]

وعليه نستنتج أنَّ الأمر هنا ليس حقيقيا؛ لأنَّ القصد منه ليس الطلب وإنَّما قصده الإهانة وذلك بغرض التهكم، وهذا عند "غرايس" هو خروج على قاعدة (الكيف) لأنَّ الخروج عن هذه القاعدة هو نفسه الخروج من الدلالات الصريحة إلى دلالات مستلزمة.

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

[1] ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية (ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجًا)، ليلى كادة، ص: 410.

المخطط08: التحليل التداولي لمثال الأمر التهكمي السابق.

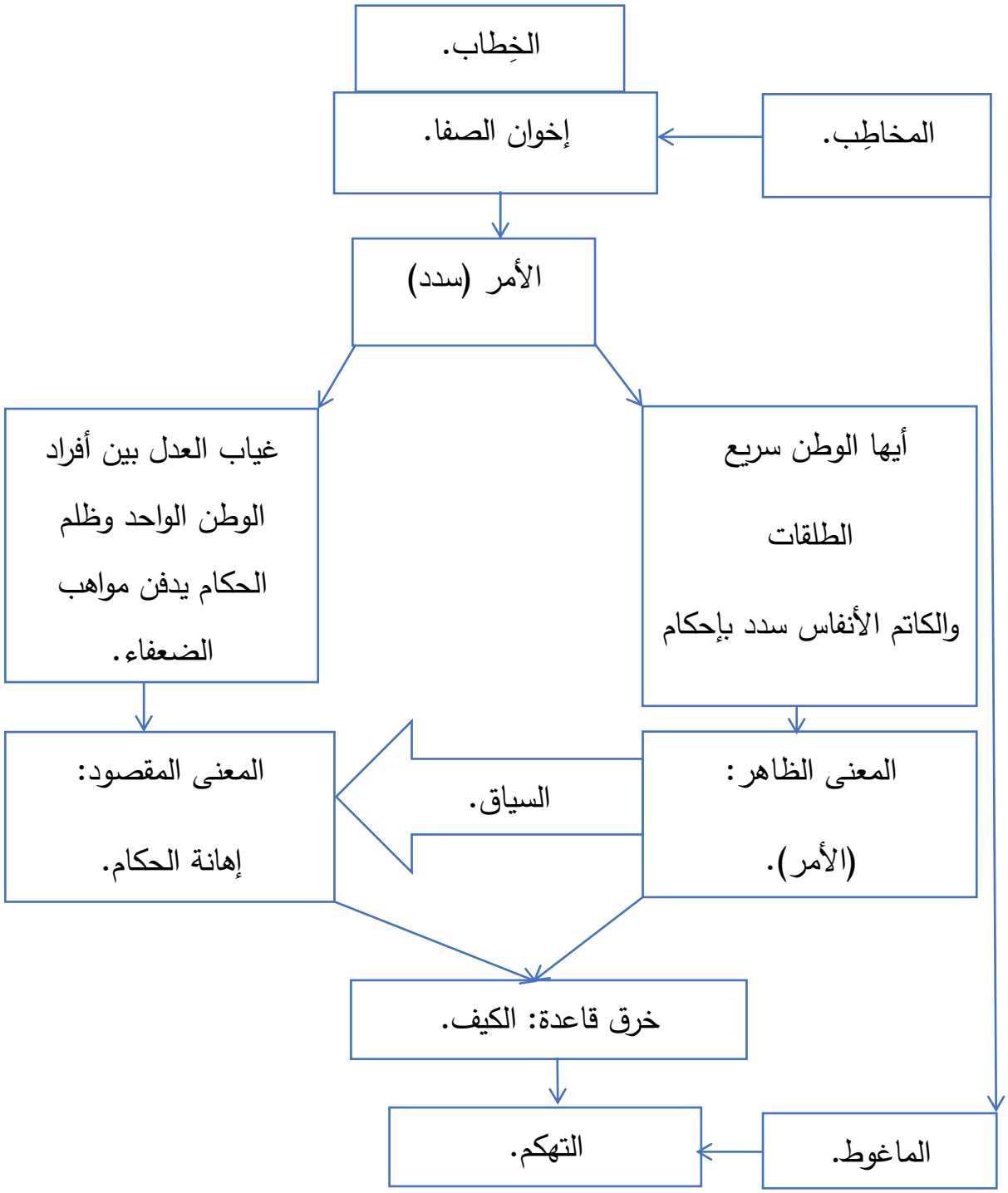

وفي مثال آخر من أمثلة أسلوب الأمر التهكمي يقول "الماغوط" في قصيدة "السقف والعتبة"

باختصار...

خذوا انتصارات تشرين...

واتركوا لي هزيمة حزيران...[1]

وفي هذا المنجز الخطابي نجد أفعالا طلبية أمرية: "خذوا"، "اتركوا"، لكن الأصل فيها ليس للطلب وإنَّما استعماله لغير معناها، كان القصد منها التعبير عمَّا في داخل الشاعر والذي يكشف لنا ذلك هو تغني الشاعر بالهزيمة، لأنَّه لا يوجد عاقل على وجه الأرض يقبل الهزيمة، وهنا سرعان ما يكتشف القارئ قصد الشاعر من هذا الفعل الذي امتنع اجراؤه وذلك لخروجه من معناه الأصلي إلى معنى آخر مستلزم يستدعيه السياق؛ ألا وهو التهكم، فالشاعر من خلال نبرة قلمه ههنا يخفي داخله وجعًا كبيرًا، ففي نظره أنَّ انتصارات تشرين هي انتصارات شكلية فقط ظاهرية وشعارات كاذبة اخترعها اليهود بتواطؤ مع الحكام العرب، وأنَّ الهزيمة هي واقع ملموس لابد منه ومن التعايش معه والابتعاد عن زيف الانتصارات الخلبية، لأنَّ حال بلاد الشام اليوم هي أسوأ بكثير من حالها سابقًا وكل هذا بسبب خضوع حكامها.

والذي نستنتجه هنا هو أنَّ فعل الأمر امتنع اجراؤه لغياب شروطه التي تجعله أمرًا حقيقيًا، وخروجه إلى معنى آخر استدعاه السياق الكلامي، وخروج الدلالة الصريحة إلى دلالة مستلزمة، هو خرق لواحدة من

[1] البدوي الأحمر، محمد الماغوط، ص:203.

قواعد "غرايس" وهي قاعدة (الكيف)، وذلك لأنَّ الشاعر كان يضمر داخله قصدا واستخدام فعل الأمر في غير موضعه الأصلي يستفز القارئ للتأويل في هذا المقام للوصول إلى ما يقصده الشاعر، وذلك عن طريقة التضاد وهو أن يقول عكس ما يقصده، ففي قوله نجد تغنيه بالهزيمة والرضا بها لكن قصده هو التهكم بالحكام والسياسيين الذين يرقصون فرحًا بهذه الانتصارات البراقة ويدعون شعوبهم للافتخار بانتصاراتهم، لكن الواقع يقول أنَّ لعْنَة هزيمة حزيران لاتزال تلاحقهم إلى يومنا هذا.

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

المخطط09: التحليل التداولي لمثال الأمر التهكمي السابق.

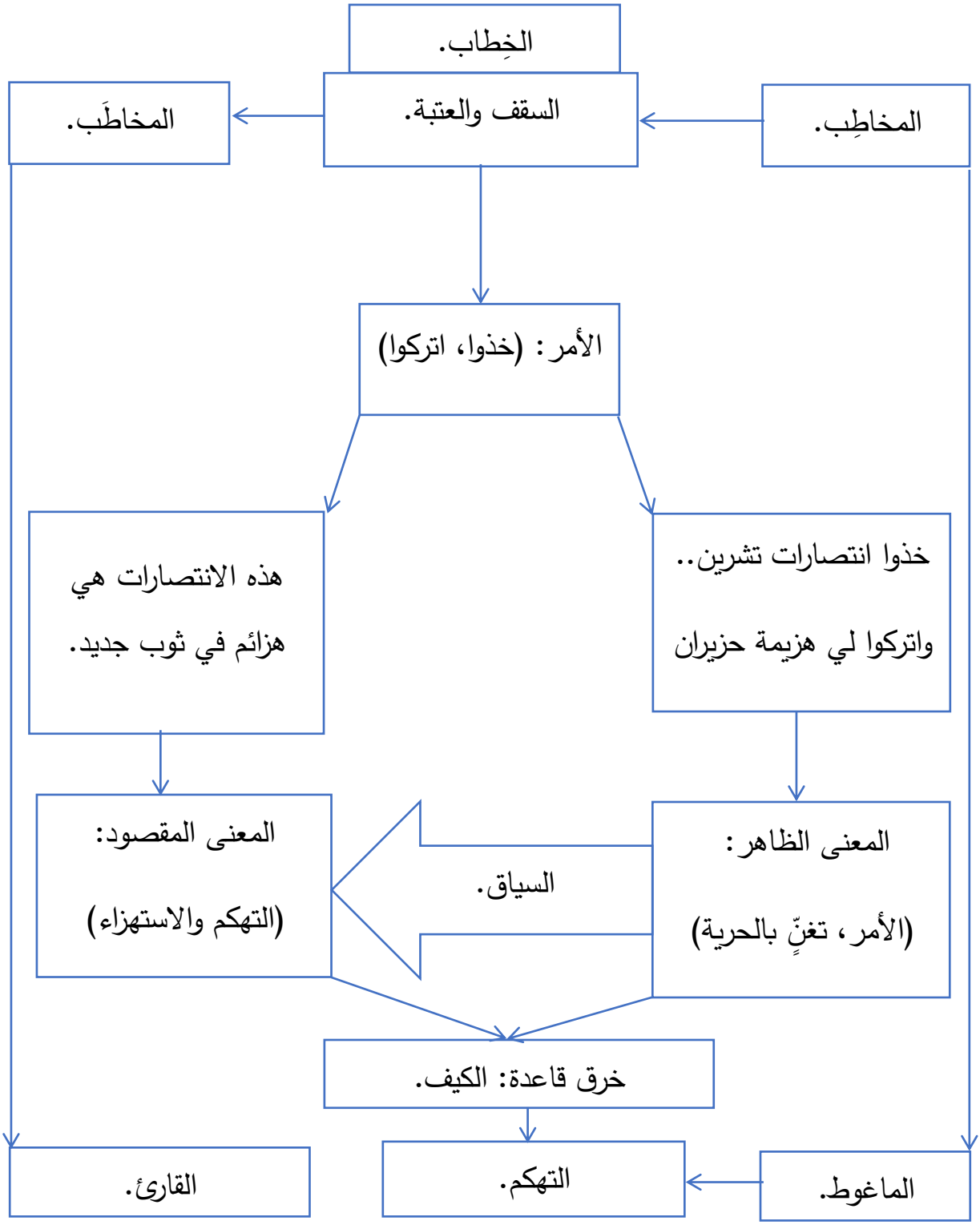

المبحث الثاني: التحليل التداولي للتهكم في علم البيان.

كما عرفنا أنَّ علم المعاني، مرتبط بأحوال الكلام العربي التي يكون من خلالها مطابقًا لمقتضى الحال، فعلم البيان لا شأن ولا صلة له بمقتضى الحال فلا تكون هنا ضرورته البحث في مناسبة الكلام من خلال المقامات التي يُلقى فيها، وإنَّما تكون وظيفته التأثير فقط من خلال فن التعبير والكلام، فهو يلغي بذلك عنصر الإفهام ويتجاوزه إلى الإمتاع ثم الإقناع.[1]

فعلم البيان؛ يعتبر ذلك العلم الذي يراد به المعنى الواحد بعدة طرق فتتضح الدلالة عليه، والمراد من خلال ذلك أنَّ مجموعة القواعد التي يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كقواعد التشبيه، وضوابط الاستعارة، والمجاز المرسل، وقوانين الكناية، والمبتغى باختلاف الطرق التي يؤدى بها المعنى الواحد في وضوح الدلالة، هو أن يكون بعضها واضحًا وبعضها خفيًا فالخفاء هنا معيب على البيان، إلاَّ إن كان يراد به الدقة في المعنى.[2]

1. التحليل التداولي للاستعارة التهكمية:

للاستعارة صدارة كبيرة في بنية الكلام الإنساني، فهي تعد العامل الرئيسي في التحفيز والحث، لهذا الشأن اهتم الدارسون والباحثون بها على أنَّها وسيلة لملء الفراغات في المصطلحات [3] بالإضافة إلى ذلك فإنَّ الاستعارة اعتبرت انزياحا منطلقه التشبيه فتنتج

---

[1] ينظر: أسلوب التهكم في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي دراسة تداولية، عبد الحكيم خرشوش، ص:110.

[2] ينظر: علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، عبد الفتاح فيود بسيوني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015، ط4، ص: 15_16.

[3] ينظر: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع، (د.ب)، 1997، ط1، ص:11.

قيمتها الفنية على انزياحها، عن مبدأ المشابهة ذاته[1] فقد تحدث عنها "عبد القاهر الجرجاني" وقال فيها « واعلم أنَّ من شأن الاستعارة أنَّك كلما زادت إرادتك التشبيه إخفاء ازدادت الاستعارة حسنًا » [2] وتعتبر الاستعارة في جميع مفاهيمها أنَّها تؤدي إلى معنى واحد في أنَّها عبارة عن الاستعمال للفظ في غير ما وضع له فتكون لعلاقة المشابهة؛ بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.

فقسمت الاستعارة من قبل البلاغيين إلى عدة أقسام وما نشير إليه هنا هو باعتبار الطرفين فهناك وفاقية وعنادية.

يمكن استخراج الطرفين من مثال قرآني واحد وهو الآية الكريمة في قوله تعالى:﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴿١٢٢﴾﴾ (الانعام122)

- **العنادية:** سميت عنادية لأنَّ طرفيها متعاندان وفي هذا المثال القرآني جاءت مفردتا الحياة والموت متنافرتين ولا يمكن اجتماعهما عقلا لذا صارت استعارة عنادية.[3]
- **الوفاقية:** في الآية استعيرت لفظة (أحيا) لـ (هدى) حيث شبه الإنسان المهتدي بالحي والهداية والحياة أمران متوافقان ويجوز اجتماعهما (عقلاً) في شيء واحد. إذ يوصف الحي بالهداية.[4]

---

[1] ينظر: البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع، مسعود بودوخة، (د. ب)، (د. س)، (د. ط)، ص: 44.

[2] المرجع نفسه: ص: 44.

[3] ينظر: توضيح شواهد جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، شرح وتعليق: ملا محمد النوغراني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، (د. ط)، ص: 89.

[4] ينظر: المرجع السابق، ص: 90.

نستطيع أن نقول كذلك من خلال هذا السياق أنَّ جوهر الكلام العربي لم يكن يرتكز على الجانب اللغوي، الداخلي والخارجي بطبيعة الحال للاستعارة، وكيفية تلقيها واستقبالها؛ فلقد نزعت وانعزلت كل الانعزال عما يسمى بالسياق الداخلي والخارجي للجمل.

فالاستعارة ودراستها من حيث جانبها التداولي تعطي لنا مفهومًا آخر، بعيدًا كل البعد عن تلك الاعتبارات والمسالك المحدودة، الحجم التي قامت بتسليط الضوء على العلاقة التي تربط فقط بين طرفي الاستعارة وهي المستعار والمستعار له، ولكن الهدف الأرقى من ذلك هو عملية التمعن والفهم واستخراج، الدلالات الواضحة على أنَّ الاستعارة، وسيلة من وسائل التواصل اللغوي وهنا سنقدم خير دليل على ذلك «الاستعارة من خلال رؤية تداولية تتشعب في عدة زوايا لتعدد الأفكار التداولية التي تربط بها الاستعارة منها فهم الاستعارة ووصفها وسيلة لغوية تواصلية» [1]

يعني بأنَّ المنظور التداولي للاستعارة يدرس ضمن سياقها التواصلي إضافة إلى ذلك التعامل مع العناصر الواقعة لملفوظاتها وإنَّها وسيلة لغوية تواصلية غير عادية باعتمادها مخالفة المعتاد من اللغة فهي تفرض على المتلقي الانتقال السياقي الذي تفرضه على المتكلم والسامع من سياق التلفظ إلى سياق التلقي، على تنوع السياقات الثقافية والاجتماعية.[2]

علاوة على ذلك فالعلاقة بين المستعار والمستعار له هي نقطة تركيز الجانب التداولي الذي يحاول أن يطور منها ويتجاوز في حدودها المقتصرة فقط على تلك العلاقة، فعملية الفهم هي من تعطي للجانب التواصلي كما ذكرنا، حريته في عملية الفهم والتلقي باعتبار

---

[1] الرؤية التداولية للاستعارة: عيد بلبع، جامعة المنوفية، مصر، ص: 99.

[2] ينظر: تداولية الاستعارة من خلال "أسرار البلاغة" لعبد القادر الجرجاني، خليفة بوجادي، جامعة سطيف2 الجزائر، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد5، 2013، ص: 166.

تنوع السياقات. وبذلك يولي "جون سيرل" التمييز بين المعنى الحرفي ومعنى المتكلم أهمية في دراسة المنطوق(الاستعاري) فهو يعتبر الاستعارة مشكلة لغوية عامة من خلال تفسير الكيفية التي يتم فيها انعزال معنى المتكلم عن معنى الكلمة.[1]

كذلك للتداولية بعد آخر في الرؤية التداولية للاستعارة يتمثل هو الآخر في ربط تأويل الاستعارة بمبادئ "جرايس". الأربعة المعروفة (الكم_ النوع_ الترابط_ الأسلوب) فمن الممكن أن ينظر إلى الاستعارة على أنَّها نوع خاص من استغلال مبدأ أو أكثر من تلك المبادئ الأربعة؛ فاستثمار مبدأ النوع (الكيف) يعني أي تفسير غير استعاري من الممكن أن يكون خاطئا لا محالة.[2] واعتبر "الماغوط" أنَّ مِن أنفع الطرق وتميزها التي اعتمد عليها في شعره هي "الاستعارة التهكمية" وحاول استخدامها بطرق مختلفة، فيأتي بإقلاب المعنى عن حقيقته فيجعل من الاستهزاء والسخرية مدحًا، فيجعل بذلك التضاد منزلة التناسب ويمكن أن نطرح هنا بعض الأمثلة في هذا السياق، ومن بينها قصيدة بعنوان« مسيلمة» يقول فيها:

وبشائر الغربان الراقصة

على الطبول و الأوتار[3]

لابد من أنَّ هاذين البيتين يضمان داخل جعبتهما كمًا لا يعد ولا يحصى من الاستعارات التهكمية، باعتبار الدلالة السياقية لا تتناسب مع دلالة الألفاظ بتاتًا، من خلال ما يدور في نفسه من (سخط) على مجتمع الأغنياء، فهو استعار تلك الألفاظ الدالة على المشبه به على سبيل الاستعارة التهكمية وهي الفرح والسرور والرقص والبهجة، فكما نعرف أنَّ هذه

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، عيد بلبع، ص: 100.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص: 107.

[3] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص: 369.

الألفاظ تستعمل في سياق صدق المشاعر تجاه البشارة والفرح والرقص، للفرح لا لشيء مخالف وإنَّما لكي ينزل "الماغوط" التضاد منزلة التناسب وضع مفردة (البشارة) مع الغربان الراقصة، فمعرفتنا عن الغراب أنه نذير شؤم فاستعملت هنا هذه الألفاظ والمتضادات بقصد التهكم والسخرية. فهنا جاء أسلوب الاستعارة التهكمية غير مباشرة الأفضل على مستوى التهكم، فهنا اعتمد "الماغوط" على خرق قانون اللغة من أجل إحداث المفارقة بين المعنى الصريح والمعنى المستلزم من خلال المعنى الذي يرمز إليه من الغراب؛ فهو هنا ساخط على مجتمع الأغنياء، وألحق كذلك السخرية بمجتمع الفقراء الذي قاد من أجله ثورة، فلقد صوّر لنا "الماغوط" الحياة الاجتماعية من حرمان وتشرد واستغلال سواء كان اجتماعيّا أو سياسيّا، فنستطيع أن نوظف ونربط مبادئ "غرايس" من خلال ما تم شرحه من الاستعارة، فالماغوط من خلال هذا البيت قد خرق قاعدة من قواعد الاستلزام الحواري وهي خرق لقاعدة الكيف، فهو في سياق الخطاب دل على الفرح والبشارة ونزهة الروح والنفس، إلاَّ أنَّ السياق يستصعب على أن يقصد المخاطب المدح، وهنا دلالة على أنَّ "الماغوط" أراد أن يحط التهكم من مجتمع الأغنياء، فنسب إليه البشارة والفرح والرقص على الطبول والأوتار، وعكس ذلك الحرمان والاضطهاد والفقر.

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

المخطط 10: التحليل التداولي لمثال الاستعارة التهكمية.

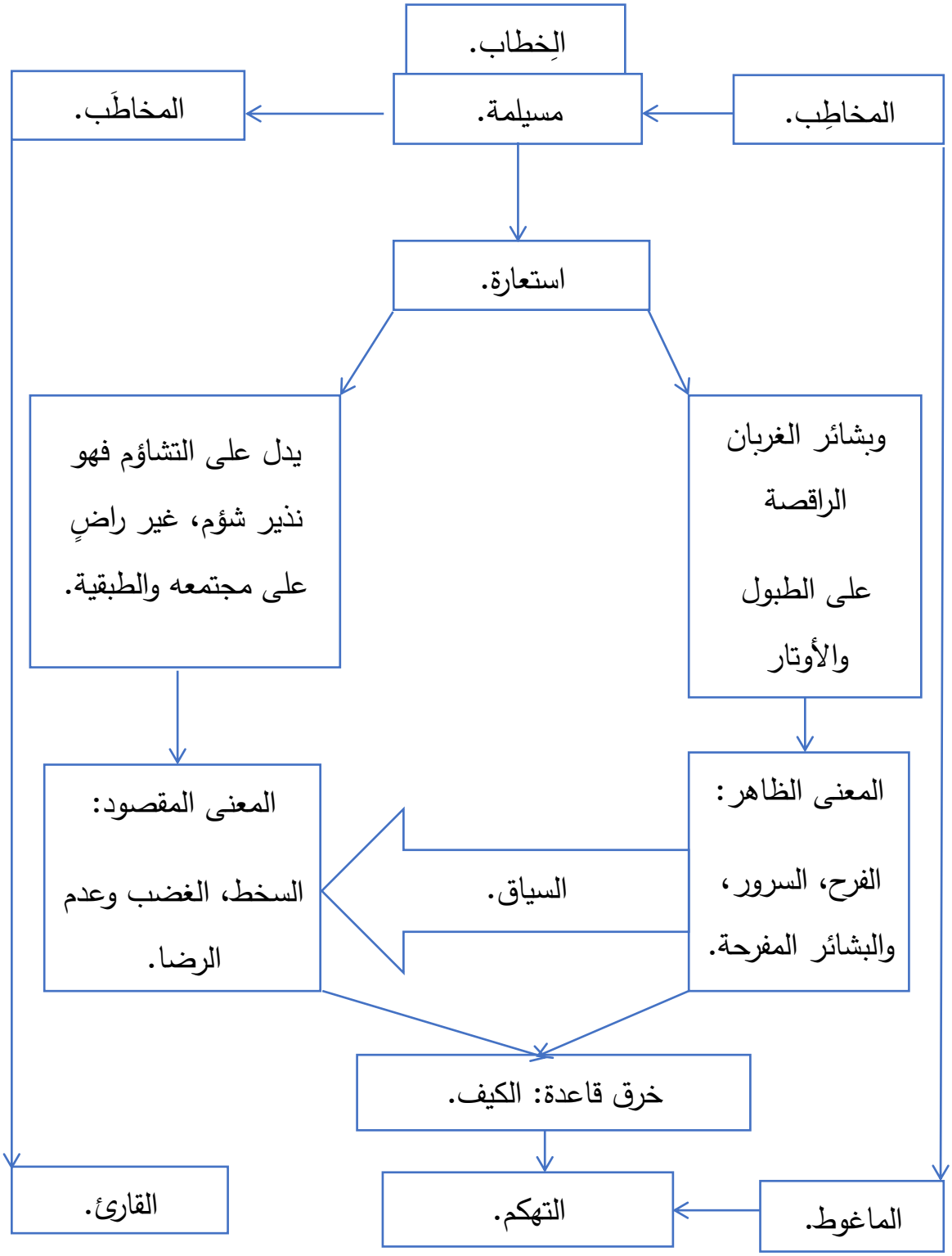

وههنا نطرح مثالا آخر يبين لنا مدى براعة "الماغوط" في مجال الاستعارة التهكمية في قصيدة له بعنوان "الصفوة الهتليرية" تبين لنا مدى الظلم الأمني الذي عانت منه الشعوب والمجتمعات وبالأخص "الماغوط" في قوله:

وها أنا أرفع معنويات قصائدي وذكرياتي وأحلامي

للمثول جميعًا أمام محكمة أمن الدولة [1]

في هذا المثال للاستعارة التهكمية، حاول أن يشد انتباه المتلقي من خلال التأثير الذي وضعه في هذه الأبيات، من جعله المتهم الأوّل جراء قصائده التي أدت به إلى السجون على عكس ما هو سائد، من فساد ونهب وسرقة، فلم يشد انتباههم كلَّ ذلك سوى قصائدي! والناس تسرق وتنهب وتقتل وهم أحرار، فالماغوط ليس لديه في زاده سوى الفصول والشعر فجمعهم للمحاكمة أمام المثول الأعلى والمحكمة وأمن الدولة، فقام بترتيبهم ورفع معنوياتهم ولا خوف ولا ارتباك، فهنا استعمل كما هو واضح، الأسلوب غير المباشر، معتمدًا في ذلك الاستعارة التهكمية فظهر كلامه مخالفا لمقتضى الحال، فجعل قصائده وأحلامه وذكرياته تحاكم أمام أمن الدولة، فاستعمل هذا الأسلوب من رفع للمعنويات وترتيب، للاحتقار لأمن الدولة.

وكما علمنا أنَّ الحكومة، في حقيقتها لم تحاكم المجرمين، وحاكمت شاعرا لقصيدته ولنزوته الشعرية ولكلمة حق مستهم، التي لم ولن تمشي مع الشعب وتحاول أن تحسن لو بالقليل لما هو يجري من آفات وظلم واضطهاد، فعمد على هذا التعبير عن معنى مضاد يدور في نفسه، فاستعار لفظة (أرفع معنويات) للمشبه ولم يستعمل الاضطهاد والاحباط،

[1] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص:242.

فدل على أنَّ كلامه لم يظهر على حقيقته، والقرينة الدالة عليه هي من سياق المقام الذي قيل فيه أي أنَّها مقامية.

فهنا تهكم يظهر واضحًا جليًا على ما يريد أن يبينه من حكومة تجري وراء شعر وكلام، ولم تلتفت لما هو حاصل من أشياء دمرت مجتمعاتنا العربية، أدت بعدة شعراء للسجن، حاول أن يبدي هذا من خلال ألفاظ توصل وتتهكم بهم.

فوقع هنا خرق لقاعدة (الكيف) فتركنا "الماغوط" نغوص ونبحث عن المعنى المقصود وهو التهكم لمحكمة أمن الدولة.

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

المخطط11: التحليل التداولي لمثال الاستعارة التهكمية السابق.

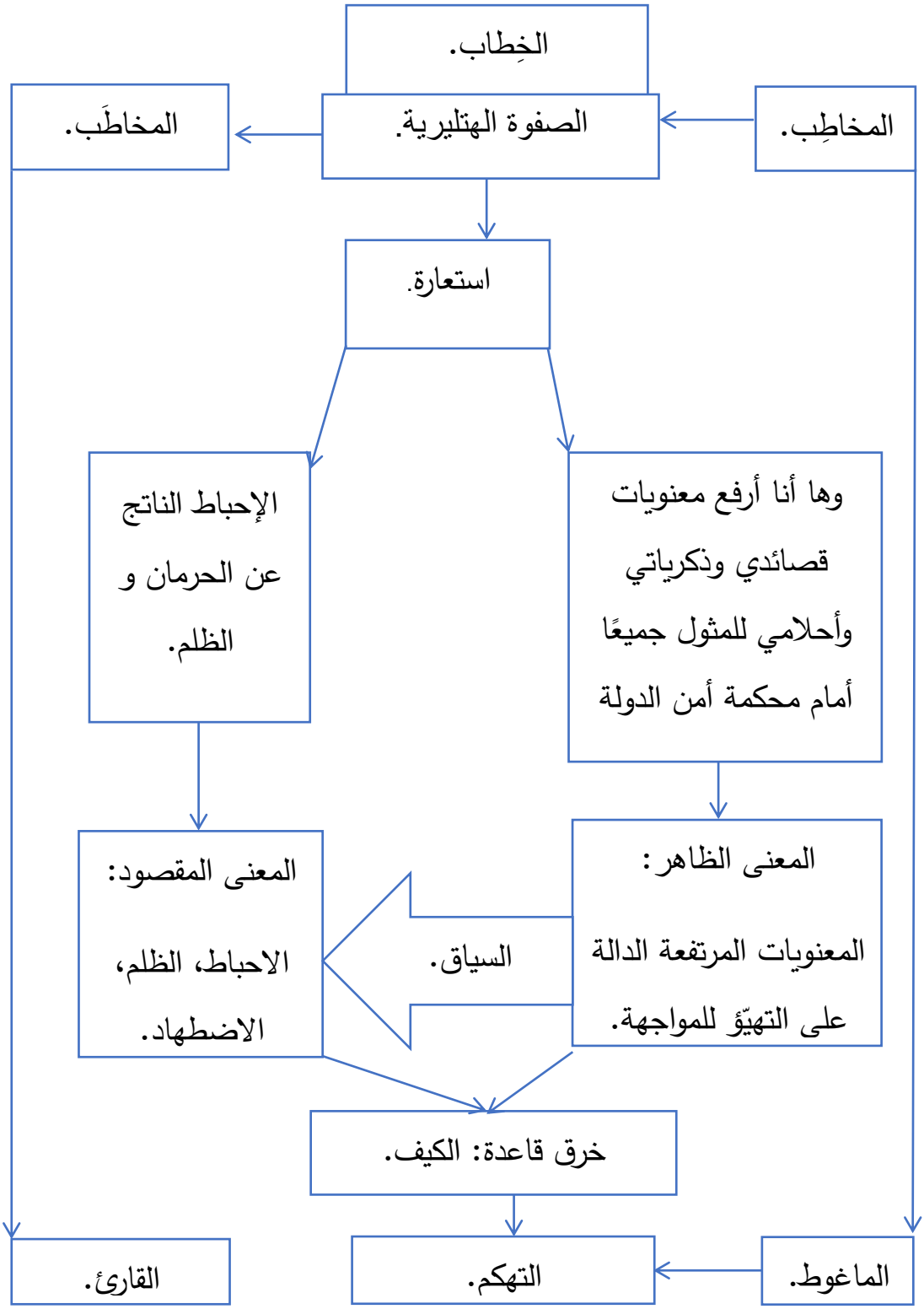

2. التحليل التداولي للتشبيه التهكمي:

يعد التشبيه من أبرز الأساليب البيانية في علم البيان، وجزءًا لا يتجزأ من اللغة وبلاغتها وانتشر البحث فيه لانتشار ظهوره في طيات الكلام العربي، إلى أن أصبح منطلقا للنباهة الأدبية لدى الشعراء والكتاب، فقيمته الفنية تتمحور حول أنه أسلوب ثري فيرجع إليه الأديب لتقوية معانيه وإبرازها على الوجه المطلوب.

ينقسم التشبيه بدوره إلى أربعة أقسام منهم المشبه، المشبه به، اللذان يُعدّان من أطراف التشبيه، وهما الركيزة العامة والركنان الأساسيان وبدونها لا يتم معنى التشبيه ولا يصبح التشبيه تشبيهًا، يأتي بعد ذلك أداة التشبيه وقد تكون حرفا أو اسما أو فعلا، والأقوى هو الحرف، ووجه الشبه وهاذان الأخيران يمكن الاستغناء عنهما في الشاهد البلاغي للتشبيه عكس أركان التشبيه، ومن هنا علينا القول أنَّ التشبيه هو؛ جمع بين شيئين في صفة أو أكثر من صفة، والصفة المشتركة بينهما هي وجه الشبه والرابط(الأداة) فهي حرف نحو: (الكاف)، (كأن)، الأسماء (شبه)، (مثل)، الأفعال (يضاهي)، (يحاكي)، (يماثل).[1]

التشبيه من الجانب التداولي يعتبر آلية من الآليات التي يستعملها المرسل بغرض التلميح إلى قصده، فهو يلمح إلى القصد المستلزم من الخطاب وهذا يعني أنَّ الكلام ينتقل من الظاهر إلى بقية المعاني المستلزمة.[2] ومعنى ذلك أنَّه لا وجود للتصريح بوجه الشبه أي يبقى الشبه تلميحًا فقط فإذا صرح بوجه الشبه ينتقل بعد ذلك من التلميح إلى التصريح فترجع استراتيجية الخطاب إلى استراتيجية مباشرة ولفهم ذلك أكثر نأتي بمثال: (يا شبيه

---

[1] ينظر: أسلوب التهكم في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي دراسة تداولية، عبد الحكيم خرشوش، ص: 111.

[2] ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، 2004، ط1، ص: 410.

البدر في الحسن وفي بعد المنال) هنا استراتيجية مباشرة مصرح فيها بوجه الشبه والقصد مطابق للمعنى الحرفي للجملة أي إنَّ المشبه يشبه البدر في الحسن وفي بعد المنال.

من خلال هذا المثال التوضيحي نجد أنَّ المخاطب (يا شبيه البدر...) قدم لنا خطابه على نحو الاستراتيجية التلميحية فرُبطت هنا العلاقة بين المشبه (البدر) فنقوم بضبط العلاقة بينهما فتحلل الأصل (البدر) إلى خصائصه البارزة، ونسقط بعض من سماتها على الفرع فتكون الصفة التي وقع عليها الاختيار تجمع بين الطرفين.[1]

شاع التشبيه وكثر عند العرب في أشعارهم وكلامهم فمن خلاله استطاعوا النجاح في تصوير أفكارهم ونقلها، والتعبير عما يدور في خلجات النفس لديهم فنجده كذلك في الأشعار وفي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فراح جلّ العلماء والأدباء يهتمون به من خلال الدراسات البلاغية، فوجب أن تثبت الشاكلة التي تناسب وجه الشبه فيها صفة غير مشتركة بين الطرفين، فنجد المعاني ترمز إلى ضد المعتاد عليه مثلا، فنقصد من خلاله السخرية (أي التهكم) فيُشبه القبيح بالقمر، فنجده يصف بالعكس وبعد ما تم استقرائه من شعر "الماغوط" تراءى لنا أنَّه استعمل أسلوب التشبيه التهكمي معتمدًا فيه على قدرته البالغة في اللغة والتداول، من بين هذه التشبيهات في قصيدة له بعنوان "تبادل مذكرات" يقول فيها:

تربطني بالوحل علاقة قديمة لا تنسى

كعلاقتي بالطفولة والحب الأول [2]

[1] ينظر: أسلوب التهكم في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي دراسة تداولية، عبد الحكيم خرشوش، ص:112.

[2] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص: 25.

عند فحصنا لهذا المثال للماغوط، نرى أنَّه احتوى على تشبيهين متباينين في المعنى الظاهر، لهما اتفاق في المعنى المضمر، فنقف عند الأول لنبين معناه.

يقول (تربطني بالوحل علاقة قديمة لا تنسى...)، فيبدو واضحًا أنَّ المقصد من هذا القول التلميح على أنَّ رابطته بينه وبين وطنه رابطة سيئة بمثله ما عاشه من حرمان في طفولته التي تعد قاسية، بسبب الفقر وقلة الحاجة في أبسط الأمور، فعقد هنا علاقة مشابهة.

ومن الأصح والأجدر أن نشير هنا إلى أنَّ "الماغوط" لمح إلى هذا القصد الخفي (الطفولة) ملمحًا دون التصريح، فراعى بذلك مبدأ التأدب مع مخاطبيه، وما يلفتنا رعاية في تشبيهه الثاني أنَّ الشاعر "الماغوط" يبين أنَّ الألفاظ الحسنة تدل على الرضى، ونعرف أن هذا لا يناسب سياق الخطاب، فيجعلنا بهذا نؤول الخطاب إلى معناه المضاد، ألا وهو الاضطهاد، طبقيًا= الطفولة، عاطفيًا= الحب الأوَّل.

وبالتأكيد فالمخَاطب ينتظر عكس ما يقال أي لا يبغي الثناء لوطنه، الذي حرمه من أبسط حقوقه فهو لا يملك أي حق أو نسبة في النمو الاقتصادي وغيره...، وهنا بدى واضحًا أنَّ "الماغوط" أنتج لنا خطابه هذا على طريقة تشغيل مبدأ التعاون، وعلى ثقة بأنَّ المخاطَب أو المُرسَل سيتمكن من تفسير وتأويل هذا الخطاب إلى ما يتناسب مع السياق العام وبما يحمله من خلفيات عن الموضوع.

ومن ثم نجد أنَّ "الماغوط" أدخل عنصر الحب والعاطفة في تشكيل هذا التشبيه فمن خلاله بدا هنا، أنَّ العاطفة والحب الأوَّل لهم معنى خاص لديه في كمية التشبث به، ونجد أنَّها لا تتوافق عاطفيًا مع العلاقة التي تربطه بوطنه، فهو عقد هذا التشبيه وقصد له المماثلة بين الطرفين دون اعتبار لمدى الاختلاف بينهما وبين وجه الشبه وذلك من أجل تقريب المشبه من فهم السامع أو المتلقي وإيضاحه، فنجده أدخل كل ما يمس طفولته.

ولا شك في أنَّ هذا التشبيه التهكمي أشد من الذم المباشر، فهو كما نعلم أنَّه سلاح لفتك الخصوم، فلقد برع "الماغوط" في توظيفه فبدا لنا، جميلاً وهذا يدل على أنَّ الشاعر ذو ذكاء فذ، جعله يجند تشبيهه بشكل مؤثر جدًا.

نستطيع القول أنَّ "الماغوط" أبرز لنا براعته وكفاءته التداولية، من خلال استعمال آلية التشبيه بغرض التهكم، فلقد جعل من خلالها ممرًا يعبر من خلاله إلى الوصول نحو هدفه، فعرض لنا هذا المثال، فبما أنَّ المعنى الحرفي لم يطابق المعنى الأصلي، فهنا مما تتطلب وجود العناصر التداولية أي السياق الخارجي، فهو يعدّ حلقة وصل بين اللفظ والقصد المراد.

وفي نهاية القول نشير إلى أنَّ التشبيه التهكمي التداولي أفضى إلى قوام أساسه أنَّ تأويل التشبيه له، ربط مع مبادئ المحادثة عند "غرايس"، وهي أنَّنا رحنا نبحث ونحدد، التحليل الأنسب للتشبيه التهكمي، فهو بذلك قد انتهك قاعدة (الكيف) فجعلنا بذلك نتجاوز المعنى الظاهر ورحنا نبحث عن المعنى الخفي والأنسب لتفسير هذا القول، فبذلك أحدث لنا التناقض للمحتوى القضوي للتركيب الجملي مع الواقع الخارجي، فجعلنا بذلك ننتقل من المعنى الحرفي إلى المعنى الذي يحدد لنا حقيقة المعنى وهو التهكم بالوطن وبما له من حرمان فيه.

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

المخطط12: التحليل التداولي لمثال التشبيه التهكمي السابق.

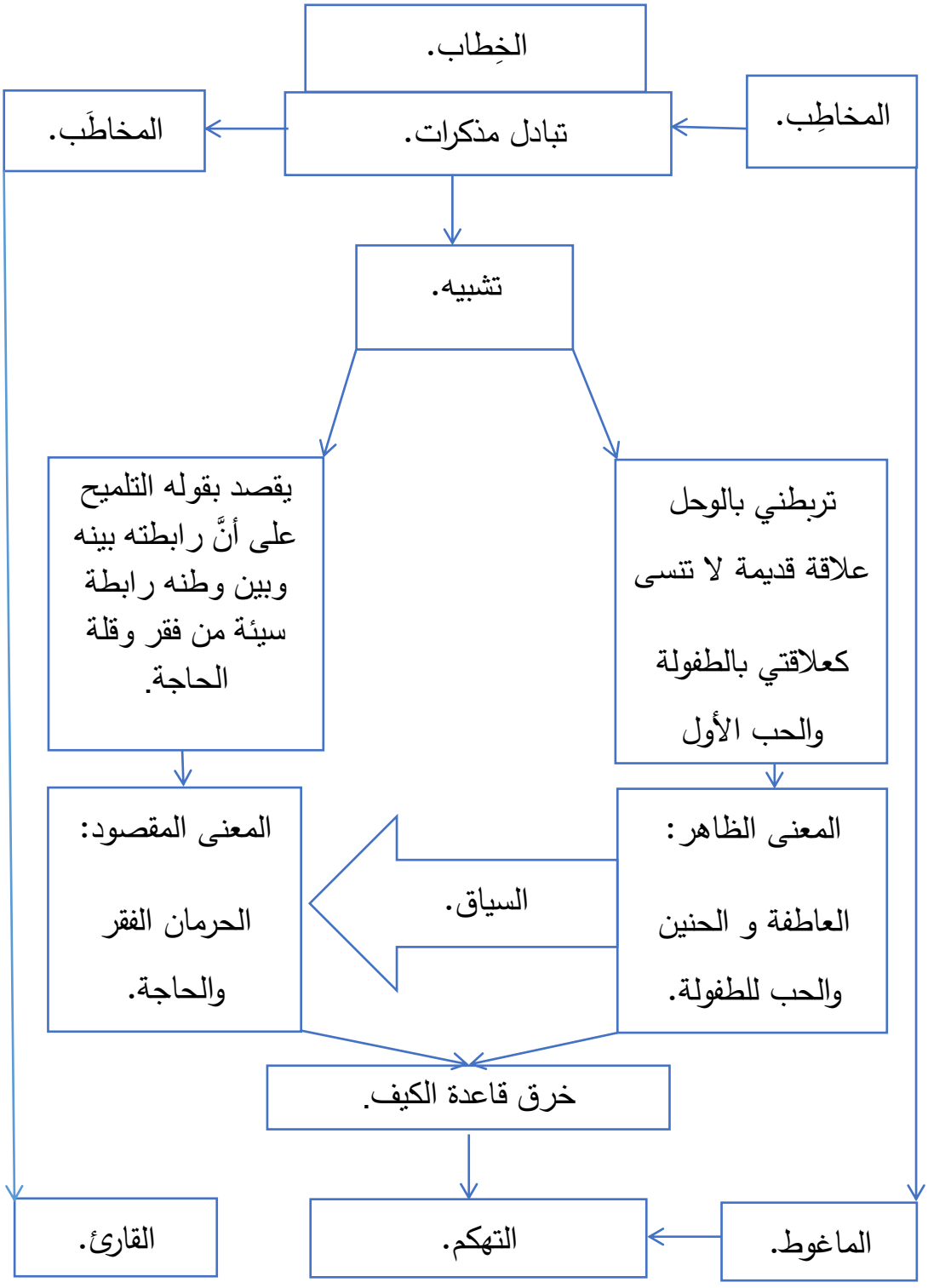

ومن روائع التشبيه التهكمي في "البدوي الأحمر" يشدنا قول "الماغوط" في قصيدته المعنونة ب "مكتوم النفس والنفوس" قال:

فقد فرحت أشد الفرح بهويتي الجديدة المغنطة ورحت أضمها كالعاشق الولهان حتى كدت أقضمها كالكعك البلدي الطازج [1]

نرى من خلال هذا المنجز أنَّ الشاعر وضع واستلهم مصطلحيين تشبيهيين تتعلق بحالة الإنسان الجيدة وهو في أوج العشق والهيام، كذلك من خلال ألذ ما لديه وهو الكعك وطرواته وطعمه الذي يفرح النفس.

فهنا "الماغوط" في مقام الحديث عن الهوية، وعما يمر به وطنه من هزائم ومجازر إلى مشاكل اجتماعية وأخرى اقتصادية وفساد بشتى أنواعه، والتقاتل على الهوية كما قلنا في بادئ الحديث وهو محور المحتوى فبرغم من ذلك فهو فرح فرحًا شديدا بهويته الجديدة، إلاَّ أنَّ العكس الذي يقصده بأنَّه فرح، فشبه نفسه بالعاشق الولهان ويقضمها لهويته كالكعك الطري طيب الطعم.

أراد "الماغوط" أن يبين مدى يأسه وأراد أن يبين عدم فرحه، فهو ينعت بالغبي وبالحيوان فساق لنا هذا التشبيه المرسل وصرح بالمشبه والمشبه به، فشبه هويته بالشخص العاشق الولهان بها فيقضمها كما يقضم الكعك البلدي الطازج فهذا هو المعنى المرسل.

وإذا وقفنا أكثر في لفظ العاشق الولهان تبدو في أنَّه يكن لهويته حب صار حد العشق فهنا مدح لها لانتمائه لها، فهو هنا أبدى لنا التناقض الذي يجعلنا ننتقل من المعنى الحرفي

[1] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص: 313.

إلى المعنى التهكمي الذي يرمي إليه، فهنا قد خرق لنا أحد قواعد "غرايس" وهي قاعدة (الكيف)، فكما نعرف أنَّ صفة العشق أمر مستحسن لدى الإنسان يتقبله بل ويميل إليه ولو يستطيع فقط أن يحظى بدرجة من درجات الحب، لكنه نعت في هذه القصيدة بالأبله الذي لن يضم هويته ويتنعم بخصائصها، فبات يتأمل إلى أن نعت بالمجنون فأي هوية وأي أوطان هذه التي ضمت في حقيقتها هزائم وفسادا ومجازر وإلى مالا يحمد عقباه.

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

المخطط13: التحليل التداولي لمثال التشبيه التهكمي السابق.

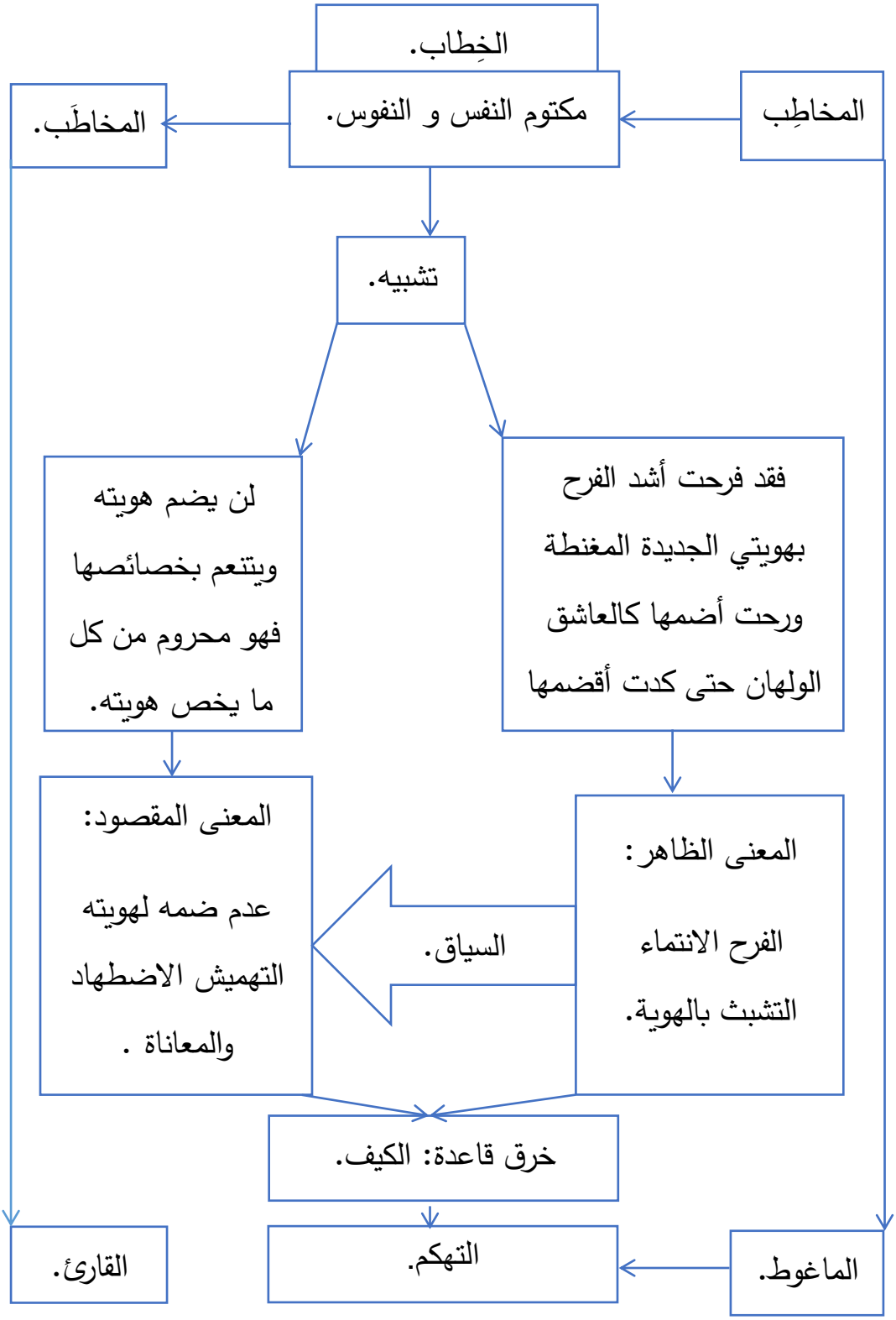

من أمثلة التشبيه التهكمي كذلك نجد قصيدة في ديوان "الماغوط" بعنوان "رماد الأجنحة":

وكل ما أسمعه بعد ذلك من تهديد ووعيد وإهانات

ألتقطه كالعصفور [1]

الذي جذبني لهذا المقطع من القصيدة هو مصطلح العصفور الذي يلتقطه بمثل ما التقط ذلك الوعيد، وتلك التهديدات والإهانات وجعلها في قبضة يده، فبذلك استصغر حجمهم وراح يخبئهم في مكان عالٍ من أجل أن يبعدهم عن متناول صغار العقول فيستعملونها ضده ومن الجياع المتعطشين، فبعد جمعه لكل ذلك أي لذلك الثالوث المتكون من وعيد وإهانات وتهديدات إلى مكان لا يستطيع أحد الوصول إليه فيجعل منهم متكئا، فهو يقصد به أنَّ تلك التي تطلق عليه لا تعني له شيء وأنه سيجعل منها مقعدا لمن أحسن الظن بشعبه فقط، أي أنَّه سيجعل كل ذلك تفاهة وسيتغاضى عن كل ذلك ويعطي لشعبه مكانة وأنَّ شعبه معطاء وأنَّه مقتلع عن كل أسباب الفساد، وأنَّه فعال للخير يكنّ حب الوطن في قلبه، فلو يكون هناك إحسان الظن بالشعب كما نحسن الظن بالله، ويقتلع عن تلك الإهانات..

وهنا تهكم بسادة شعبه الذين يكنّون له كل الكره وكل الألفاظ المشينة، إلاَّ أنَّه احتقرها واستصغر حجمها وجعله في قبضة يده يستطيع أن يبعده، وهنا أعطى لهذا السياق تجانس فخدم المعنى بشكل جيد، فهو بهذا الكلام التشبيهي يدل على معنى شريف لا يشوبه لبس، وأنَّ هناك قوة إنجازية حرفية في اللفظ تمثلت في التقاط العصفور، وهنا جعل التشبيه التهكمي غير المباشر أشد من التهكم المباشر فهو ينال من الخصم دون مواربة.

[1] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص: 420.

فالماغوط أبرز قدرته التداولية في التشبيه من أجل التهكم والنيل من الخصم ووصل إلى منشوده، فالسياق الخارجي هو من حدد لنا صلة الربط بين الملفوظ والمقصود.

فهنا ربطنا معنى التشبيه بقواعد "غرايس"، التي تعيننا على تحديد المعنى المتعلق بهذا التشبيه التهكمي، فالماغوط قد انتهك قاعدة (الكيف)، فتجاوزنا المعنى الحرفي إلى المعنى الحقيقي وهو التهكم بسادة الشعب أو الحكام.

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

المخطط 14: التحليل التداولي لمثال التشبيه التهكمي السابق.

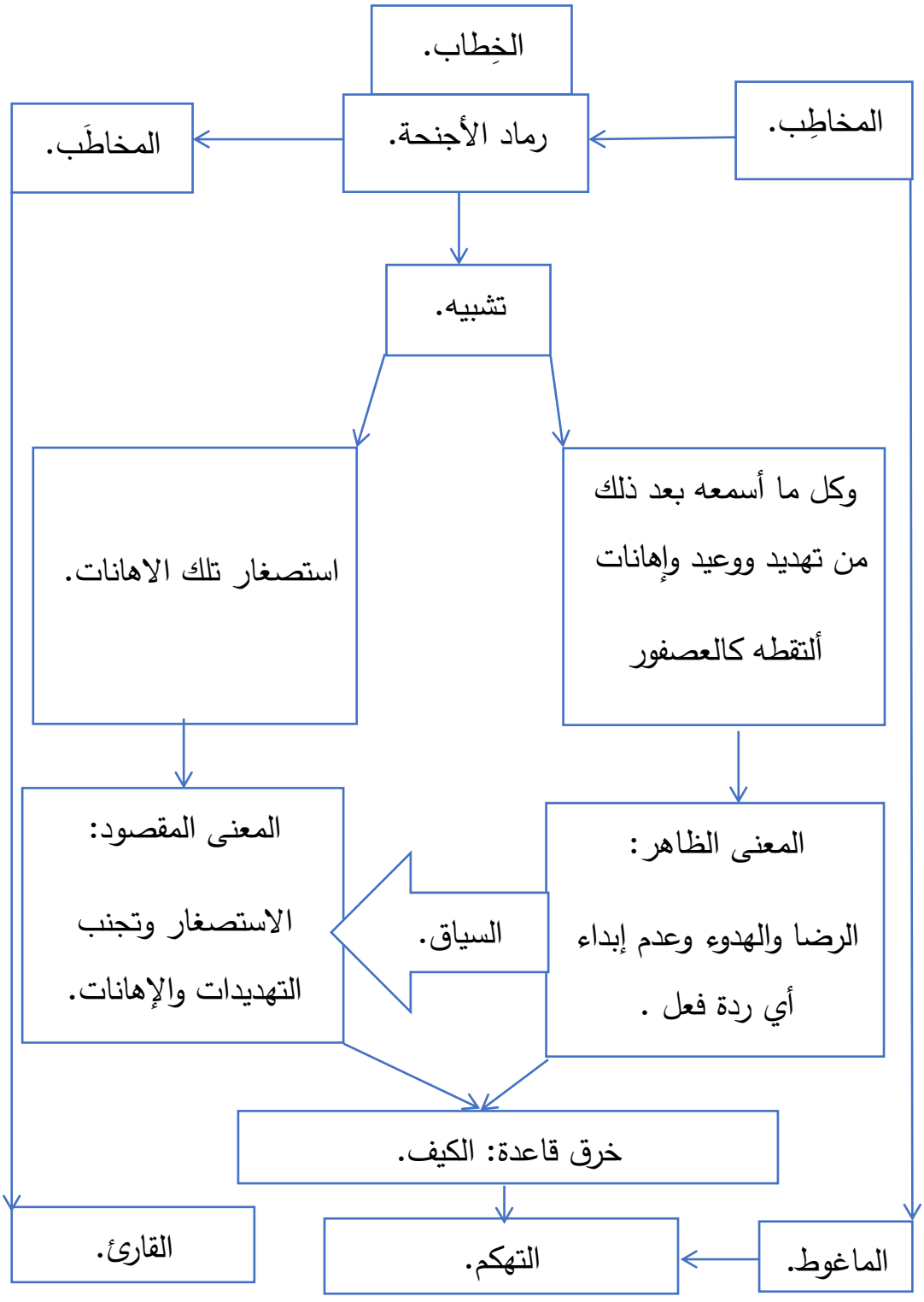

3. التحليل التداولي للكناية التهكمية:

تعتبر الكناية من بين الأساليب البلاغية المندرجة تحت علم البيان، فتتميز بكونها نوعا من الأنواع التي تعطي لنا ألفاظها بالمعنى غير الحقيقي وإنَّما بالمعنى الملازم له فقط، فهي تطلق اللفظ مع إرادة اللازم معناه، وجواز إرادة المعنى الأصلي، فالمتكلم يترك اللفظ الموضوع للمعنى الذي يريد التحدث عنه إلى لفظ آخر موضوع لمعنى آخر تابع للمعنى الذي يريده فيعبر به[1]، ومن هذا يقول "عبد القاهر الجرجاني" «الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة وإنما يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه».[2]

ويعرفها من المتأخرين "السكاكي" بقوله«الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك كما تقول فلان طويل النجاد لينتقل منه إلى ما هو ملزومه وهو طول القامة ».[3]

إذا أمعنا النظر في هذه التعريفات يلحظ لنا أن مدار الكلام في الكناية هو العدول عن التصريح إلى التلميح، فتبقى على علاقة لزومية بما تم التصريح به من خلال الألفاظ.[4] فالكناية من الأساليب التي يعتمدها المتكلم لغرض يقصده هو في نفسه فيستعملها بدلاً من

---

[1] ينظر: علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015، ط4، ص: 224.

[2] المرجع نفسه، ص: 224.

[3] الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي: محمد الحسن علي الأمين الأحمر، رسالة ماجيستير مخطوطة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1983-1984، ص:63.

[4] ينظر: الأبعاد التداولية للكناية في المنظومة البلاغية، كادة ليلى، بسكرة، ص: 129.

الكلام الصريح، وعليه فإنَّ الأقوال الكنائية تكون أقوالاً إضمارية ومعان استلزامية فالمتكلم لا يذكرها باللفظ الموضوع لها في اللغة، فهو يأتي بألفاظ يلزمها فيذكرها قاصدًا بها ملزوماتها.

فحري بالبيان أنَّ الكناية من جانبها التداولي تعد مظهرًا من مظاهر خرق قانون الكيف، إذا المنطوق به غير المفهوم من التعبير الكنائي.[1]

فيعد الجرجاني من الذين تكلموا عن فوائد الكناية التي تقصد الذم باللفظ الظاهر المدح، فيجد الساخر مراده من هذا الأسلوب فيتجه من خلاله إلى التعريض ويبتعد فيه عن التصريح.[2]

وقد استعان "الماغوط"، على جملة من الكنايات التي دعمت شعره من أجل إثارة انتباه المتلقي وجعله أكثر انتباهًا لفك الرموز المشوشة العالقة في ذهنه، راجيًا منها أن تلقى صدًا يقنع القارئ، ومن ذلك لدينا هذا المثال في قصيدة له بعنوان "دموع سياحية" يقول فيها:

وأنا سفني بطيئة و أشرعتي ممزقة[3]

اعتمد "الماغوط" في هذا الشطر على توظيف الكناية التهكمية في قوله بأنَّ سفنه بطيئة وأشرعته ممزقة، فإذا أمعنا النظر في هذا الملفوظ وتأملنا فيه لوجدنا "الماغوط" يرمي إلى معنى يريد إيصاله وهو الضعف الذي هو عليه ومن مثله فهو يتحدث في هذه القصيدة عن ستالين الذي بات حلمًا لكل إنسان شرقي، من خلال حنكته ونفوذه وقبضته وذكائه اللذان أوصلاه إلى حكم ناجح راح يتأمله الكثيرون من أجل وصوله الباهر إلى السلطة بأسلوب سياسي محنك فهم ضعفاء" الماغوط" ضعيف مدمر بطيء ممزق لا يستطيع

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، كادة ليلى، ص:129.

[2] ينظر: أساليب السخرية في البلاغة العربية، شعيب بن أحمد عبد الرحمان الغزالي، ص:232.

[3] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص: 17.

الوصول ولو أنَّ ثورة تحرك وتسرع بطء سفينته وترقع أشرعتها، والتحرر مما يعانون منه في مجتمعه.

فالماغوط تارة يبين لنا الضعف وأنَّه بحاجة إلى ثورة تهز كيان الدمار والشتات، وتارة يوجه تهكما لستالين وسخرية به فهو يبرز لنا تناقض من خلال الصفات التي أولاها له بعد ذلك البيت الكنائي فجسد صورة ستالين بين العنف والسخرية.

فنستطيع أن نقول أنَّ عبارتي "سفني بطيئة و أشرعتي ممزقة"، تحمل قوة إنجازية حرفية، وهي كناية عن صفة فتكونت من في تركيبها عن صفة لازمة للمعنى، ثم أنَّه أغفل مناسبة اللفظة لسياق التلفظ الدالة على الضعف ومن ثم سخرية بستالين، وهنا تكون المؤشر الواضح الذي أراده "الماغوط" من خلال التهكم "بستالين" آملاً في أنَّ المتلقي سيفهم المعنى المقصود من عبارة "سفني بطيئة وأشرعتي ممزقة" ، وهنا يكون قد خرق قاعدة من قواعد "غرايس" وهي قاعدة الكيف فهو بعدها يرمي إلى التهكم في سياقه العام للقصيدة.

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

المخطط15: التحليل التداولي لمثال الكناية التهكمية السابق.

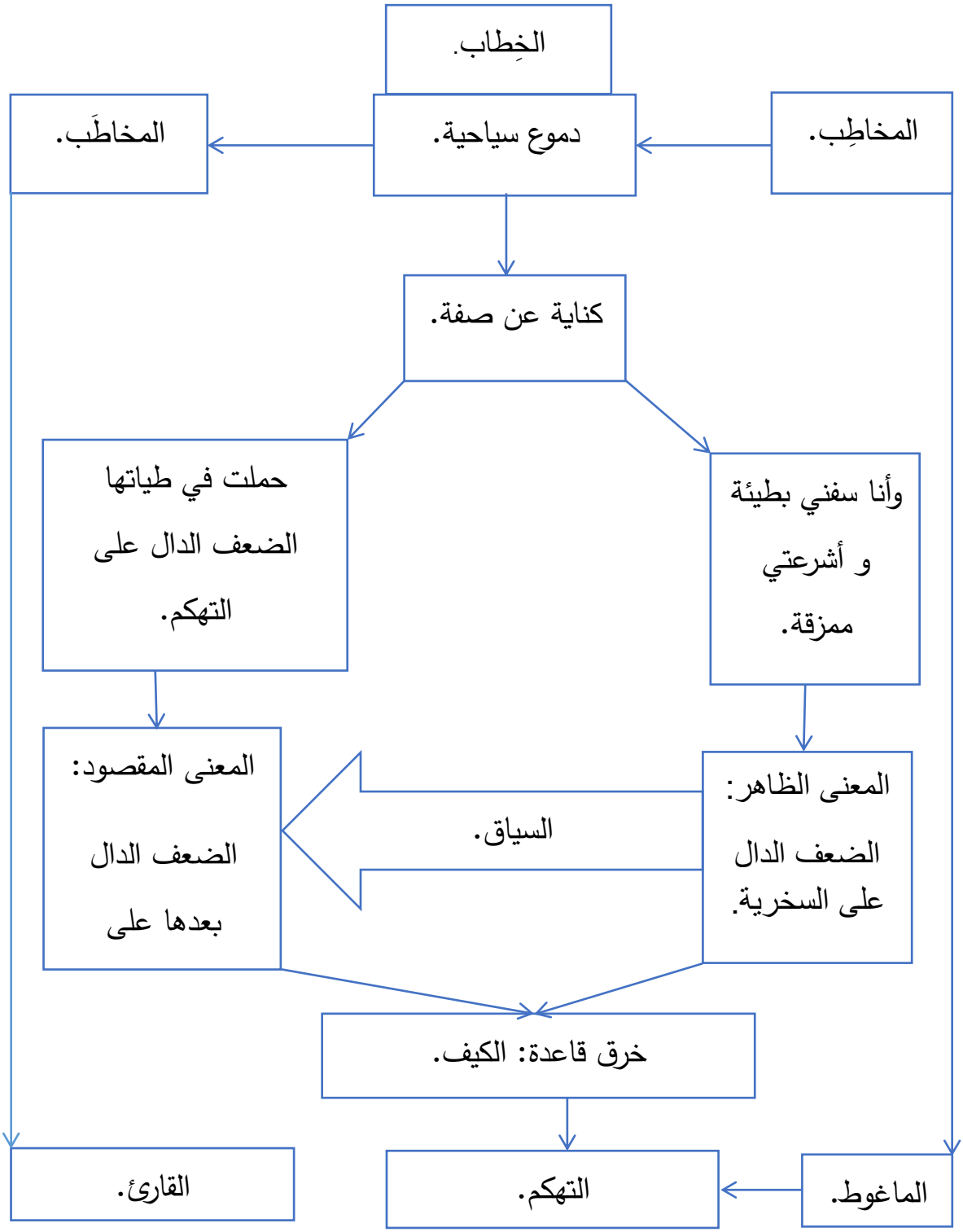

وأيضًا من النصوص الشعرية التي وردت فيها الكناية التهكمية في "البدوي الأحمر" في قصيدة بعنوان "القصيدة الغجرية" يقول فيها:

وهويتي الشخصية قيد التجليد بورق الزيتون والتين والأرز والبلوط والجميز

ولأنَّي لا أسرق الأطفال

بل أعيدهم إلى أمهاتهم والطائرات الورقية بأيديهم

فلي في كل غابة حساب مصرفي مفتوح

وفي عب كل بدوي صندوق بريد[1]

في هذا المنجز الخطابي أراد "الماغوط" أن يبين لنا، بالرغم من أنَّه إنسان غير مجرم لا يخطف ولا يسرق أطفال إلاَّ أنّهم يضعون له في كل غابة حسابا مصرفيا مفتوحا، فهو أصلا إنسان مهمش ليس له أدنى حق من حقوق بلاده، فهو مشرد في الغابات، وهنا كناية عن التهميش والظلم، ويبدو من خلال هذا الملفوظ "فلي في كل غابة حساب مصرفي مفتوح" ساقه لنا "الماغوط" من أجل التهكم والسخرية من الحكام الظالمين.

فهي تقنية ذكية ومقصودة من "الماغوط" عمدها من أجل أن يتجاوز المعنى الحرفي إلى المعنى الخفي القار في نفسه، وهو السياسة الظالمة التي عايشها "الماغوط" والهوية التي لم يتمتع بأدنى حقوقها فهنا تهكم بهم بأنَّهم لم يعطوا له ولا حق مواطن يتمتع به.

فلو تأملنا في هذه الملفوظات الكنائية التي أوردها "الماغوط" لوجدها أتت لغرض التهكم والسخرية.

[1] البدوي الأحمر: محمد الماغوط، ص: 304.

فيكون بذلك قد خرق أحد قواعد "غرايس" وهي قاعدة الكيف فهو بين لنا العكس، وعدم صدقه من ناحية الوضع فحساب مصرفي تدل على أنَّه متمتع بكل حقوقه وأنَّه غير محتاج لأي أحد فعالمه الذي يعيش فيه قد كفى ووفى.

ويمكننا أن نلخص ما سبق ذكره في المخطط الآتي:

المخطط16: التحليل التداولي لمثال الكناية التهكمية.

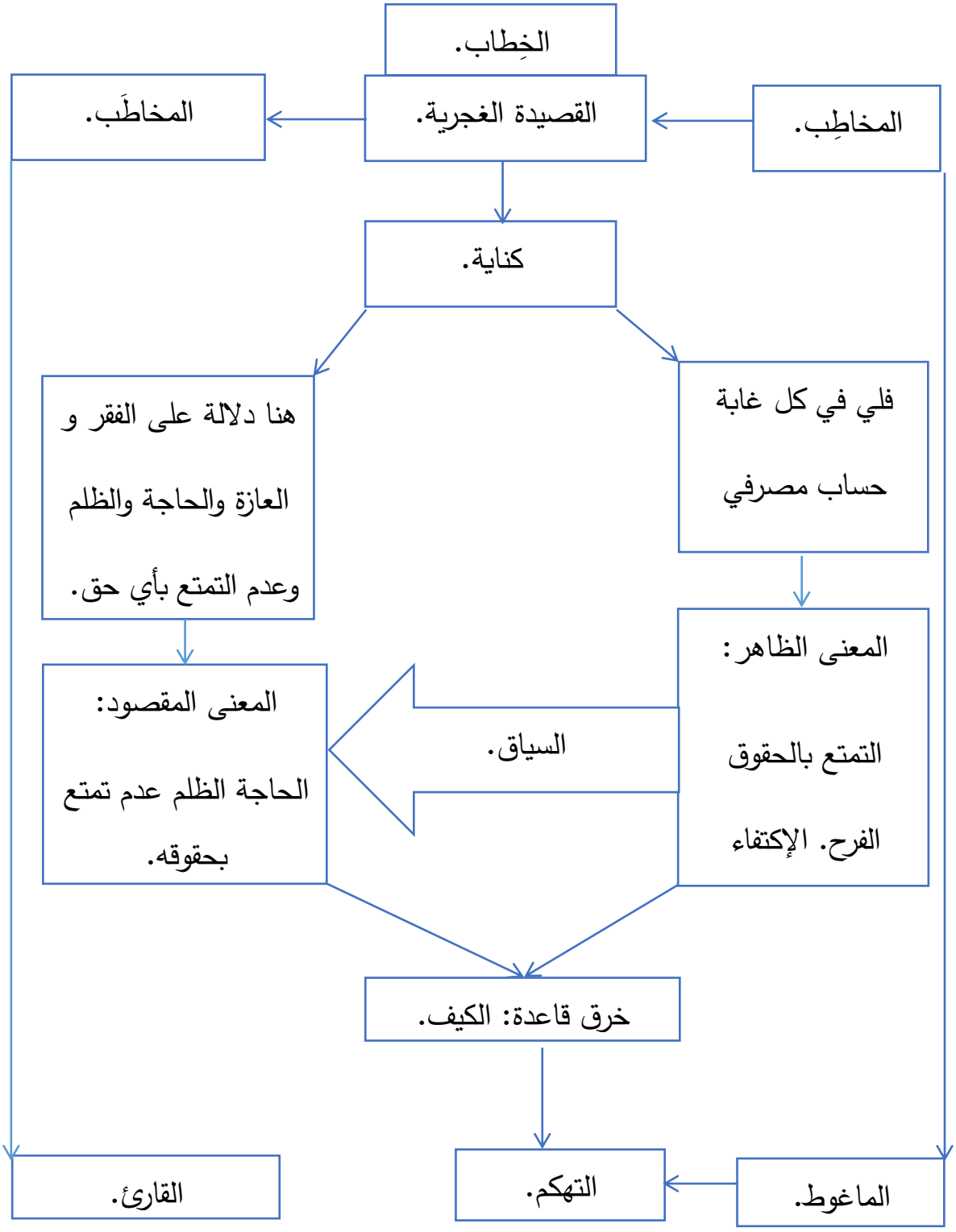

وعلى سبيل الختم:

كانت دراستنا لهذا الفصل دراسة تطبيقية قمنا فيها بتحليل العديد من النماذج التي وردت في نصوص "البدوي الأحمر" بأسلوب التهكم، وذلك من خلال علمي المعاني: (الاستفهام، والنداء، والأمر)، والبيان (الاستعارة، والتشبيه، والكناية).

وعند دراستنا لهذه النماذج وجدنا أنَّها في كثير من الأحيان تخرج من دلالتها الطبيعية إلى دلالة غير طبيعية، وهذا ما يعرف تداوليًا بظاهرة الاستلزام الحواري، إذ تكون فيه الدلالة الصريحة عاجزة وضعيفة، وهنا يأتي دور السياق في الكشف عن الدلالات المضمرة وذلك عن طريق قرائن ترد في المنجز الخطابي، وهنا يتسنى للمخاطب الوصول إلى قصد المخاطب.

والخروج من الدلالة الصريحة إلى الدلالة المستلزمة هو خروج عن إحدى قواعد مبدأ التعاون؛ ألا وهي قاعدة الكيف.

كما استنتجنا من خلال هذه الدراسة أنَّ الأساليب التهكمية التي استخدمها الشاعر بكثرة هي: "الاستفهام والنداء" في علم المعاني، و" التشبيه" في علم البيان، وذلك من أجل إيصال مقاصده وما يشعر به، للتأثير في المتلقي ولفت انتباهه.

خاتمة

خاتمة:

بعد البحث والتحليل توصلنا في الأخير إلى جملة من النتائج والملاحظات نلخصها في النقاط الآتية:

- التهكم أسلوب بلاغي معقد، فهو مصطلح متداخل مع عدة مصطلحات أخرى كالهجاء، والسخرية والفكاهة، وهذا ما صعّب على البلاغيين تحديد مفهوم دقيق له.
- التهكم من وسائل الضغط الفعالة التي يعتمدها الأدباء في الوطن العربي، منهم "محمد الماغوط"، وذلك للكشف عن الكثير من الأسرار والخفايا، وتنبيه الشعوب وتوعيتهم للمكائد التي تحاك من ورائهم.
- تحمل التداولية قالبًا بلاغيًا وذلك لاشتراكها مع البلاغة في العديد من النقاط، لعل أهمها أبرز نقطة في دراستنا هذه وهي: مراعاة المقام للوصول إلى مقاصد المتخاطبين المضمرة وراء البنية التركيبية، كما تركزان على مكانة المتخاطبين الثقافية والعلمية.
- يسعى "الماغوط" من خلال نصوص "البدوي الأحمر"، إلى توجيه النقد اللاذع لمختلف الجهات منها: السياسية، والشعوب المستعبدة، والكثير من الشخصيات التاريخية الديكتاتورية.
- تعتبر نظرية الاستلزام الحواري أهم قطب تداولي، وذلك لطبيعة عملها وضمّها لشروط تضمن السّير الحسن للعملية التخاطبية.

- يعتبر السياق أهم عنصر من عناصر العملية التخاطبية والذي تعوّل عليه التداولية كثيرًا في كشف مقاصد المتكلمين، انطلاقًا من القرائن التي ترد في الخطاب، والتي ترد بدورها تقود المتلقي للكشف عن المعاني المضمرة
- إنَّ إسراف "الماغوط" في استخدام أسلوب التهكم كان نتيجة تراكمات وخيبات عاشها، جعلت هذا الأسلوب سببًا في شهرته.
- استخدم "الماغوط" التهكم بصورة مكثفة يُترجم تداوليًا بالخروج عن قاعدة من قواعد مبدأ التعاون التي وضعها "غرايس" لتأطير العملية التخاطبية؛ وهي قاعدة "الكيف" والتي تنص على عدم قبول ما هو كاذب أو ما تعتقد أنَّه كاذب؛ لأنَّ التهكم يقوم على مفارقة النسبة الكلامية للواقع.

- استخدام "الماغوط" الأساليب الإنشائية بكثرة في نصوصه، وذلك لحدّتها في التبليغ والإقناع كالاستفهام والنداء.

- استراتيجية التضاد التي اعتمدها الماغوط، أراد من خلالها إيصال وتبليغ مقاصد للمتلقي.

- أسلوب التهكم في الصور البيانية كان طاغيًا في: التشبيه وذلك لعجز الدلالة الحرفية التي لم ترد في السّياق عن ايصال المعنى، هنا يصبح التأويل إلى معنى المضاد أمرًا ضروريًا.

- كشف لنا البحث أنَّ المقاصد لا تكون دائمًا صريحة وظاهرة، بل أحيانًا تكون هذه المقاصد مضمرة وذلك لعدة أغراض، منها غرض التهكم.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا ولو بالشيء اليسير في الإحاطة بهذا الموضوع الذي يبقى مفتوحًا لمن أراد التوسع فيه والحمد لله آخر ما نختم به بحثنا.

الملحق

الملحق:

أولا: التعريف بالشاعر "محمد الماغوط":[1]

"محمد أحمد عيسى الماغوط" أديب وشاعر سوري ولد في مدينة سلمية في محافظة حماة عام (1934)، وزاول دراسته في مسقط رأسه، عاش "الماغوط" حياة بسيطة في بيئة فقيرة، وترك دراسته في سن مبكرة وذلك بعد هروبه من المدرسة جرّاء التنمر به، وكان " الماغوط" يملك حسّ الأدب والكتابة منذ الصغر، بالرغم من الأوضاع التي كان يعيشها لم يتخلَّ عن الكتابة، فأبدع في الأدب السياسي الساخر كما ألّف العديد من المسرحيات التي تجسّد الواقع المعيشي، وكتب الرواية والشعر، كما أبدع في القصيدة النّثرية واهتم بها كثيرًا، وكان من أبرز روادها

حياة محمد الماغوط:

دخل "محمد الماغوط" في الحزب السوري القومي، لكن سرعان ما غادره وذلك في ستينات القرن الماضي، وسجن بسبب انتمائه لهذا الحزب، ثم بعد ذلك التحق بالخدمة العسكرية، وكان أوَّل مولود له في الكتابة، هي قصيدة شعرية بعنوان "غادة يافا"، وفي أيام العسكرية كتب أول قصيدة نثرية بعنوان: "لاجئة بين الرمال"، ونشرها في مجلة الجندي التي كان ينشر فيها العديد من الشعراء أعمالهم وأبرزهم: "أدونيس"، و"سليمان عواد" وذلك عام (1951)، وبعد انتهائه من الخدمة العسكرية استقر في مدينة سلمية، وفي: 22/أبريل/1955 تم اغتيال "عدنان المالكي" واتهم الحزب الذي كان ينتمي إليه "الماغوط"، ثم قاموا باعتقال

---

[1] ينظر: نبذة عن حياة محمد الماغوط، محمد شود ب، سطور، نشر في:28-مارس-2019، تم الاطلاع عليه يوم: 11-جويلية-2020، سا20:09.

https:// sotor. com.

أعضائه ومن بينهم "محمد الماغوط" الذي سجن بسجن المزة بدمشق، وهناك التقى بـ: "أدونيس"، وبعد خروجه من السجن، اضطر "الماغوط" دخول لبنان بطريقة غير شرعية مشيا على الأقدام، وذلك لأنَّه كان مطلوبًا في دمشق أثناء الوحدة بين سوريا ومصر عام (1958)، وبمساعدة "أدونيس" التحق بجماعة أدبية اسمها: "مجلة شعر".

وفي بيروت تعرف "الماغوط" على الكثير من الأدباء، وأبرزهم كان الشاعر العراقي "بدر شاكر السياب" حيث جمعتهم علاقة صداقة قوية جدًا، كما تعرف على الشاعرة "سنية صالح" التي أصبحت زوجته المستقبلية وهي شقيقة "خالدة سعيد" زوجة "أدونيس"، ثم عاد "الماغوط" إلى دمشق بعد أن أصبح نجمًا كبيرًا، خاصة بعد صدور مجموعته الأولى "حزن في ضوء القمر" عام (1959)، وبعد عام واحد أصدر مجموعته الثانية "غرفة بملايين الجدران" عام (1960)، ثم دخل السجن مرَّة ثانية لمدة ثلاثة شهور، وبعد خروجه تزوج من الشاعرة "سنية صالح"، وأنجب منها ابنتيه: شام، وسلافة.

وفي السبعينات عمل "محمد الماغوط" في دمشق رئيسًا لتحرير مجلة الشرطة، ونشر فيها العديد من المقالات النقدية، ثم لجأ "الماغوط" إلى الفن المسرحي ومن أبرز مسرحياته: "ضيعة تشرين"، و"غربة"، ومن خلال مسرحياته استطاع "الماغوط" أن يصل إلى قلوب الناس.

وفي الثمانينات سافر "الماغوط" إلى "الشارقة" وعمل في جريدة "الخليج"، وكانت من أصعب فترات حياته، حيث فقد شقيقته "ليلى" عام (1984)، وفقد والده "أحمد عيسى" وزوجته "سنية صالح" في نفس السنة (1985)، ثم بعد سنتين توفيت والدته (1987).

وفي التسعينات تزوجت ابنته "شام" ورحلت مع زوجها إلى أمريكا، ثم تزوجت ابنته "سلافة" ورحلت إلى بريطانيا مع زوجها، وكل هذه المآسي بدت واضحة المعالم في أعماله

الأدبية، ثم فارق "الماغوط" الحياة في الثالث من أبريل عام (2006) عن عمر ناهز (70) عام.

- **أهم مؤلفاته:** [1]
- **الشعر:**

1. حزن في ضوء القمر_ شعر (دار مجلة شعر بيروت 1959).
2. غرفة بملايين الجدران_ شعر (دار مجلة شعر بيروت1960).
3. الفرح ليس مهنتي_ (منشورات اتحاد الكتاب العرب_ دمشق1970).

- **المسرح:**

1. ضيعة تشرين_ مسرحية (لم تطبع مُثلت على المسرح 1973_1974).
2. شقائق النعمان_ مسرحية.
3. غربة_ مسرحية (لم تطبع مُثلت على المسرح1976).
4. كاسك يا وطن_ مسرحية (لم تطبع مُثلت على المسرح1979).
5. خارج السرب_ مسرحية (دار المدى_ دمشق 1999، مُثلت على المسرح بإخراج الفنان جهاد سعد).
6. العصفور الأحدب_ مسرحية (1960)، (لم تمثل على المسرح).
7. المهرج_ مسرحية (مُثلت على المسرح 1960، طبعت عام 1998 من قبل دار المدى_ دمشق).

[1] محمد الماغوط: المعرفة، تم الاطلاع عليه يوم: 12-جويلية-2020، سا18:35.

https : // m. matefa. org.

- **مسلسلات تلفزيونية:**

1. حكايا الليل_ مسلسل تلفزيوني (من إنتاج التلفزيون السوري).

2. وين الغلط_ مسلسل تلفزيوني (إنتاج التلفزيون السوري).

3. واد المسك_ مسلسل تلفزيوني.

- **السينما:**

1. الحدود_ فيلم سينمائي (1984 إنتاج المؤسسة العامة للسينما السورية، بطولة الفنان دريد لحام)

2. التقرير_ فيلم سينمائي (1987 إنتاج المؤسسة العامة للسينما السورية، بطولة الفنان دريد لحام).

- **أعمال أخرى:**

1. الأرجوحة_ رواية (1974) (نشرت عام 1974_1991 عن دار رياض الريس للنشر وأعادت دار المدى طباعتها عام 2007).

2. سأخون وطني_ مجموعة مقالات (1987_ أعادت طباعتها دار المدى بدمشق 2001).

3. سياف الزهور_ نصوص (دار المدىبدمشق2001).

4. شرق عدن غرب الله (دار المدى بدمشق2005).

5. البدوي الأحمر_ نصوص شعرية (دار المدى بدمشق/ سوريا 2006).

- **الجوائز التي نالها:**

1. جائزة "احتضار" عام (1958).

2. جائزة جريدة النهار اللبنانية لقصيدة النثر ديوانه الأول "حزن في ضوء القمر" عام (1961)

3. جائزة "سعيد عقل".

4. صدور مرسوم يمنح وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة للشاعر "محمد الماغوط" من "بشار الأسد" رئيس الجمهورية العربية السورية.

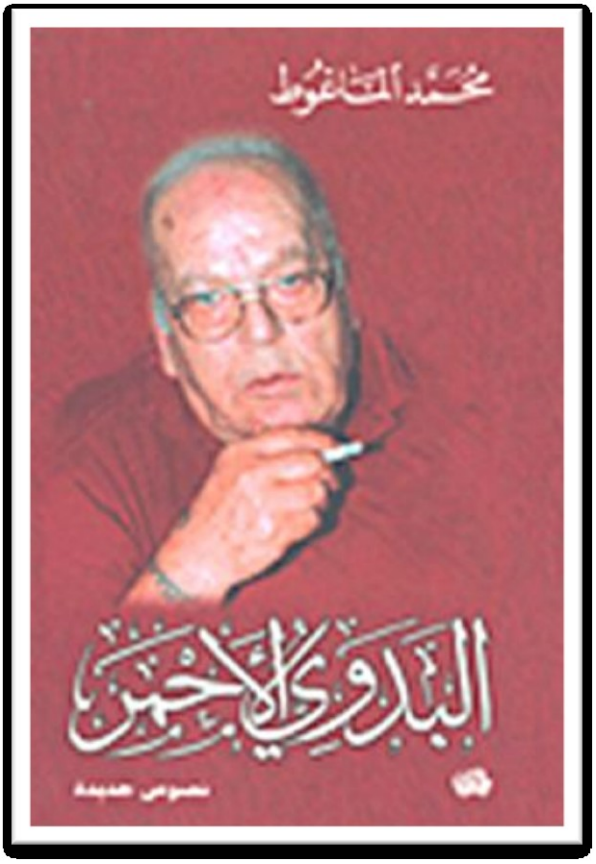

5. جائزة "سلطان بن علي العويس" الثقافية للشعر عام (2005).

- **من أشهر أقواله:**
- "لو كانت الحرية ثلجًا لنمت في العراء".
- عمرها ما كانت مشكلتنا مع الله، مشكلتنا مع اللي يعتبرون أنفسهم بعد الله".

ثانيًا: البدوي الأحمر:

البدوي الأحمر نصوص شعرية من جنس قصيدة النثر، تمت طباعتها عام (2006)، بدار المدى دمشق_ سوريا، حيث كانت هذه المجموعة هي آخر أعمال الشاعر، ثم توفي بعدها في نفس السنة، وتضم هذه المجموعة الشعرية 222 قصيدة، تطرق فيها الشاعر للكثير من المواضيع منها: الحرية، الحزن، الألم، التمرد، الطفولة، الخوف، الغربة.

وتراوحت هذه المواضيع بين السياسية والثقافية والتاريخية وفي هذه النصوص صور لنا الماغوط الكثير وذلك بأسلوبه المعهود (التهكم والسخرية)، وأطول قصيدة ضمتها هذه المجموعة هي قصيدة "البدوي الأحمر" التي وضعها كعنوان للمدونة، ومن خلال دراستنا لهذه النصوص لاحظنا أنَّ الشاعر اعتمد على ثلاثة إيقاعات بدل الوزن والقافية واعتبرها موسيقى شعرية ألا وهي: (التضاد والتكرار والاسترسال)، وكانت نبرة "الماغوط" في هذه النصوص ساخطة ولاذعة وجهها للعديد من الجهات التي اعتبرها السبب الرئيس لما عاشه من غربة وألم وغيرها، وكوصف دقيق لهذه المدونة وصاحبها يقول "بندر عبد الحميد":

البدوي الأحمر

ذو العباءة الطائرة والوشم المسحور

هو محمد الماغوط نفسه

الرَّاعي الذي أعلن العصيان

على القبائل الجاهلية

في السلمية ودمشق وبيروت

كان يرثي المدن المتصحرة ولسان العرب

وأمراء الحروب والهزائم

والملالي المشعوذين من المحيط إلى الخليج

ويرثي أصدقائه الذين ماتوا

مثقلين بغبار السجون

ومنشورات حقوق التنفس

يرثي نفسه والشعراء الصعاليك

ونساء وادي الحرية والمجون

يكتب بقلم مكسور

وينفث اللهب

بدوي متفائل بالكوارث

متنبئ بسنوات الجراد

وأظن أنه..

متحالف مع الشيطان منذ القرون الوسطى[1]

[1] غلاف مدونة البدوي الأحمر: بندر عبد الحميد، مصمم الغلاف: باسم صباغ.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برِوَايَة حَفْصٍ عَنَ عَاصِمٍ الكُوفِيّ (المصحف الإلكتروني).

أولاً: الكتب العربية:

1. أساس البلاغة: الزَّمخشري، تح: باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998، ط1، ج1.
2. استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية": عبد الهادي بن ضافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004.
3. الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية: يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع، (د. ب)، 1997، ط1.
4. الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011، ط1.
5. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ط1.
6. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ط1.
7. بلاغة التراكيب "دراسة في علم المعاني": توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د. س)، (د. ط).
8. البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع: مسعود بودوخة، (د. ب)، (د. س)، (د. ط).
9. البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني: فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، 1997، ط4.

10. البلاغة في ثوبها الجديد "علم المعاني"، بكري شيح أمين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999، ط6، ج1.
11. تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، بهاء الدين محمد مزيد، شمس الدين للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010، ط1.
12. التداولية أصولها واتجاهاتها: جواد ختام، دار كنوز المعرفة، عمان، 2016، ط1.
13. تداولية الاستعارة من خلال "أسرار البلاغة" لعبد القادر الجرجاني: خليفة بوجادي، جامعة سطيف2 الجزائر، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد5، 2013.
14. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: مسعود صحراوي، دار الطليعة، لبنان، 2005، ط1.
15. تفسير الكشاف: الزمخشري، تح: عادل أحمد عبد المجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض،1998، ط1.
16. توضيح شواهد جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، شرح وتعليق: ملا محمد النوغراني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، (د. ط).
17. الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآية الفرقان: القرطبي، تح: عبد الله بن عبد الله المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2006، ط1.
18. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق: يوسف السميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د. س)، (د. ط).
19. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004.

20. ديوان البدوي الأحمر: محمد الماغوط، دار المدى، دمشق، سوريا، 2006، ط1.
21. الرؤية التداولية للاستعارة: عيد بلبع، جامعة المنوفية، مصر.
22. السخرية في أدب المازني حامد عبد الهوال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ب) 1982، (د. ط).
23. السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين: سعيد أحمد غراب، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، مصر، 2009، ط1.
24. السخرية في شعر البردوني دراسة دلالية: عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، المكتب الجامعي الحديث، جامعة كركوك، العراق،2011، (د. ط).
25. السخرية في شعر نديم محمد: دريباتي آصف، دار الجنان للنشر والتوزيع، (د. ب)، 2016، (د. ط).
26. علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان: عبد الفتاح فيود بسيوني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015، ط4.
27. علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان:بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015، ط4.
28. غلاف مدونة البدوي الأحمر: بندر عبد الحميد، مصمم الغلاف: باسم صباغ.
29. الفاظ العقاب الدنيوي في القران الكريم دراسة دلالية: أحمد إبراهيم خضر اللهيبي، دار الكتاب الثقافي، (د. ب)، (د.س)، (د. ط).
30. الفكاهة في الأدب العباسي: وديعة طه النجم، مجلة عالم الفكر، 1982.
31. الفكاهة والضحك رؤية جديدة: شاكر عبد الحميد، منشورات عالم المعرفة، الكويت، 2003، (د. ط).
32. الفكاهة والضحك: شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة، الكويت، 2003، (د.ط).

33. فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع والتدوير والبخلاء والحيوان، رابح محمد العربي، دار الكتاب الثقافي، (د. ب)، (د. س)، (د. ط).

34. في أصول الحوار وتجديد الكلام: طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000، ط2.

35. في البلاغة العربية علم المعاني: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2009، ط1.

36. في اللسانيات التداولية: خليفة بوجادي، دار الحكمة، سطيف، 2009، ط1، نقلا عن: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: فان ديك، ترجمة وتعليق: محمد سعيد البحري، القاهرة، مصر، 2001، ط1.

37. القاموس المحيط: الفيروز آبادي، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (د. ب)، 2005، طبعة 8.

38. قطوف دانية في علوم البلاغة المعاني البيان البديع: فلاح حسن محمد الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان 1971، (د. ط).

39. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، (د. س)، (د. ط)، ج1.

40. اللسانيات التّداولية في الخطاب القانوني: مرتضى جبار كاظم، دار الأمان، الرباط، 2015، ط1.

41. لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب": محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1991، ط1.

42. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: دومينيك منقونو، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1.

43. المعجم المفصل: محمد التونجي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999، ط2.

44. المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، مادة (فكه)، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، مصر، 1994، (د. ط).

45. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مادة هجا، (د. ب)، 2011، ط1.

46. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية جمهورية مصر العربية، يناير 2011، الطبعة 5.

47. المفارقة في المسرح الشعري في مصر في الربع الأخير من القرن العشرين: عبد التواب محمود عبد اللطيف، شمس للنشر والإعلام، الهضبة الوسطى، القاهرة، 2014، (د. ط).

48. مفتاح العلوم: السكاكي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000.

49. مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د. ب)، 1979، (د. ط)، ج2.

50. المنجد في اللغة: لويس معلوف، دار المشرق، بيروت، (د. س)، ط 23.

51. نظرية أفعال الكلام العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام": أوستين، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 1991، (د. ط).

52. النظرية البلاغية عند الامام الزمخشري في الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: عطية نايف عبد الله الغول، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، (د. ب) 2014، ط1.

53. نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس: صلاح اسماعيل، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، مصر، 2005، (د. ط).

54. نقد اللغة العربية: أبي منصور الثعالبي، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، 2000، (د. ط).
55. الهجاء في الأدب الأندلسي: فوزي عيسى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2007.

ثانيًا: الكتب الأجنبية المترجمة:

56. القاموس الموسوعي للتداولية: جاك موشلر_آن ريبول، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف دار سيناترا، تونس، 2010، ط 2.
57. المقاربة التداولية: فرانسواز ارمينكو، تر: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، (د. ب)، 1987، ط1.

ثالثًا: المجلات:

58. الأساس المعرفي لمنظومة الإبداع. (مقاربة لسانية تداولية): محمد الحناش، مجلة التواصل اللساني، المجلد 10، العددان1_2،2001.
59. التداولية والبلاغة العربية، باديس لهويمل، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، العدد السابع، بسكرة، الجزائر، 2011.
60. مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحي نموذجا): عمر بلخير، مجلة إنسانيات، العدد14، 2001.
61. مفهوم التهكم في نصوص محمد الماغوط المسرحية، فاتن حسين ناجي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد4، العدد1.

رابعًا: الرسائل الجامعية:

62. أساليب السخرية في البلاغة العربية دراسة تحليلية تطبيقية، شعيب بن محمد عبد الرحمان الغزالي، رسالة ماجيستير مخطوطة، كلية اللغة العربية، جامعة ام القرى، 1993.

63. أسلوب التهكم في القرآن الكريم دراسة تحليلية بيانية، أحمد ذياب أحمد عنانزة، رسالة ماجيستير مخطوطة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2005.

64. أسلوب التهكم في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي دراسة تداولية، عبد الحكيم خرشوش، ، رسالة ماجيستير مخطوطة، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015_2016.

65. خطاب المفارقة في الامثال العربية مجمع الأمثال للميداني أنموذجا، بن صالح نوال، أطروحة دكتوراه مخطوطة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة بسكرة،2011_2012.

66. الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتنبي _مقاربة تداولية: خديجة بو خشة، رسالة ماجيستير مخطوطة، جامعة وهران، 2009_2010.

67. السخرية وأساليبها في أدب ابن محرز الوهراني: أحمد طيباوي، رسالة ماجيستير مخطوطة، في اللغة والأدب العربي، تخصص الأدب العربي قديما وحديثا، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة زيان عاشور، الجلفة.

68. الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي: محمد الحسن علي الأمين الأحمر، رسالة ماجيستير مخطوطة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1983-1984.

69. المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية(ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا): كادة ليلى، أطروحة دكتوراه مخطوطة، اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

70. الوظائف التداولية في المسرح _مسرحية صاحب الجلالة لتوفيق الحكيم أنموذجا: ياسة ظريفة: رسالة ماجيستير مخطوطة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009_2010.

خامسًا: مواقع الأنترنت:

72. محمد الماغوط: المعرفة، من الموقع الإلكتروني: htpps : //m.matefa.org

73. نبذة عن حياة محمد الماغوط: محمد شود ب، سطور من الموقع الإلكتروني: https://sotor.com

الفهرس

الفهرس

مقدّمة:.....(أ-ج)
الفصل الأوّل:التهكم والتداولية مفاهيم وأصول.....10
المبحث الأول: التهكم.....10
1.مفهوم التهكم: 10
2.الاصول البلاغية لأسلوب التهكم:.....13
3.مصطلحات التهكم:.....16
4.مجالات التهكم:.....22
المبحث الثاني: التداولية "la pragmatique".....23
1.مفهوم التداولية:.....23
2.أصول التداولية:.....27
3.درجات التداولية:.....31
4.أهم محاور التداولية:.....35
الفصل الثاني: التحليل التداولي لأسلوب التهكم من خلال نصوص " البدوي الأحمر"45
المبحث الأول: التحليل التداولي للتهكم في علم المعاني(الأساليب الإنشائية الطلبية)46
1. التحليل التداوليل لاستفهام التهكمي:.....47
2. التحليل التداولي للنداء التهكمي:.....59
3. التحليل التداولي للأمر التهكمي:.....73
المبحث الثاني: التحليل التداولي للتهكم في علم البيان.....81
1. التحليل التداولي للاستعارة التهكمية:.....81

2. التحليل التداولي للتشبيه التهكمي:.....90
3. التحليل التداولي للكناية التهكمية:.....101
خاتمة:.....118
الملحق:.....122
قائمة المصادر والمراجع:.....122

ملخّص المذكرة:

ارتأينا في بحثنا الذي جاء موسومًا بـ: "التهكّم في الديوان البدوي الأحمر لمحمد الماغوط مقاربة تداولية" التركيز على التحليل التداولي لأساليب التهكم الواردة في نصوص البدوي الأحمر وذلك من خلال علميْ المعاني والبيان، في الأساليب الإنشائية الطلبية والصور البيانية، بغية الكشف عن ملامح التداولية، لأنَّ قوام التهكم هو مفارقة النسبة الكلامية للواقع، فالخطاب الشعري في هذه النصوص تجاوز في كثير من الأحيان الدلالة الصريحة إلى الدلالة المضمرة، وهذا ما تسعى إليه التداولية أثناء معالجتها للعملية الخطابية، فهي تربط الخطاب بالسياق الذي يرد فيه، ليتسنى لنا فهم مقاصد الشاعر المضمرة في هذه الأساليب، فالقرائن التي أقحمها الشاعر في نصوصه، كشفت لنا المعنى المضاد والذي كان يقصد به التهكم والسخرية.

Summary:

we have seen in Our research which Is titled "Sarcasm in El Badaoui El Ahmar Poetry Collection of Muhammad El Maghout " the focus on the pragmatic analysis of the types of sarcasm that have been mentioned in this poetry collection. and it is through the sciences of meaning and rhetoric in the construction methods of order and tropes to discover the insight of pragmatics because the basis of sarcasm is the contradiction of words with reality . poetic discourse in these poems is often exceeded from the explicit declaration to the implicit declaration and That Is the objective of the pragmatist in its analyzes of the discursive operation of linking the discourse with the context from which it has arrived in order to better understand the aimed at the poet as it made us discover the opposite meaning which intends to mock and ironize .

الكلمات المفتاحية:

الخطاب الشعري، التهكم، المنهج التداولي، السياق، القصد، الماغوط.